بسم الله الرحمن الرحيم

الصورة طبق الأصل

المؤلف :

محمود عبد العزيز

اسم الكتاب	**:** اللهم اجعله خير
اسم الكاتب	**:** محمد علي ابراهيم
تدقيق وتنسيق	**:** سالي جلال
تصميم الغلاف	**:** ناريمان محمد
رقم الإيداع	**: ٢٠٢٥/٤٤٦٨م**
الترقيم الدولي	**: ٩٧٨-٩٧٧-٨٧٩١-٩٩-٥**

كافة الحقوق محفوظة للناشر والمؤلف

لا يُسمح بإعادة طبع أو توزيع أي جزء بأي طريقة، بما يشمل ذلك التصوير أو الطباعة أو التسجيل الصوتي أو أي وسيلة أخرى إلكترونية أو غير إلكترونية، دون إذن كتابي مسبق من الناشر، ويسمح فقط في حال الاستعانة ببعض الفقرات لغرض النقد والدراسة، طبقًا لما تحدده قوانين واتفاقات حقوق الملكية الفكرية.

الصورة طبق الأصل

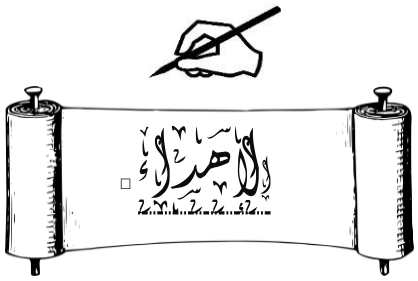

إلـــى أرواح شـــهداء الـــوطن مـــن قـــوات الجـــيش المصـــري العظـــيم، والشـــرطة المدنيـــة الباســـلة، وضـــحايا الإرهـــاب الغاشـــم مـــن المـــواطنين المصريين الأبرار.

فقـــد ســـطرتم بـــدمائكم ملحمـــة بطولـــة وفـــداء نشـــهد بهـــا لكـــم جميعًـــا. طـــاب مســـعاكم وتبـــوأتم مـــن الجنـــة منـــزلًا، ودمـــتم عنـــد ربكـــم أحيـــاء ترزقـــون.. فجـــزاكم الله عنـــا خيـــر الجـــزاء.. وبكـــل فخـــر وإعـــزاز أهـــديكم هذا العمل المتواضع.... رواية (الصورة طبق الأصل) ....

المؤلف :

محمود عبد العزيز

الفصل الأول

(١) طريق حلوان/ القاهرة

(سيارة شرطة صارخة تطارد مجرما ملثما فوق دراجة نارية خارقة) .

السيارة تجوب الطريق خلف الدراجة بكل مهارة وإتقان، لكن مهارة وإتقان سائق الدراجة النارية أعظم لأنه يقفز قفزات سريعة وخطيرة ويموج موجات حلزونية انتحارية ؛ ليتفادى الرصاص المرشوق به كالسهام الضالة فيمرق هاربا من بين سيارات الطريق المرتبكة بكل حرفنة كسيل جارف متعرج.

صوت يقذف من داخل سيارة الشرطة فيختلط بأصوات الرصاص وتلكسات السيارات والباعة فوق الكورنيش الساهر .

يقول الصوت بنبرة حادة :

الصوت: آلوه عمليات ، آلوه عمليات نمرة تسعة ينادي ، نمرة تسعة ينادي : هل تسمعني ؟ هل تسمعني ؟ الهدف في طريقه إلى المعادي

حول.

(٢) مديرية أمن القاهرة

يبدو اسم المبنى واضحا، والأعلام مرفرفة . شخص يتحدث في التليفون بغضب يسمع صوته من خلال إحدى النوافذ المفتوحة بواجهة المبنى .

صوت الشخص المتحدث :

يعني إيه فلت من الكمين ؟ أمال كنتوا بتعملوا إيه ؟؟ بعد المجهود ده كله قدر يهرب ؟! إزاي ؟! إزاي ؟! إزاي ؟ !

و في لحظة عابرة ، خاطفة، تتوقف سيارة شرطة مرة واحدة من فرط سرعة بالغة أمام المدخل الرئيسي لمديرية الأمن يحدث فرملتها صداً يسمع فيهبط منها مندفعاً عميد شرطة بملابسه الأميرية وقد أغلق باب السيارة بكل عنف؛ ليصعد سلالم المبنى متحدثا في جهاز لاسلكي معه.

بكل اضطراب وبصوت أحباله ممزقة قائلاً بخوف وبحرص :
العميد: (ده اسمه تهريج يا فهمي الولد ده لازم يتقبض عليه في ظرف ساعة واحدة من دلوقتي . وإلا البلد كلها حاتخرب ! أنتوا مش مقدرين خطورة الولد ده قد إيه ؟؟. مش مقدرين خطورته.).

حرس بوابة المديرية يؤدون التحية العسكرية بالأسلحة لسيادة العميد صائحاً قائدهم بصوت جهوري حاد قائلاً: قائد الحرس : (سلام سلاح).

بينما العميد يدخل من البوابة مختفياً عن الأنظار كسراب يتلاشى.

(٣) كورنيش النيل بالمعادي

الدراجة النارية الهاربة وهي تقترب منحدرة إلى مدخل المعادي الشرقي تتفاجأ بأن الطريق أمامها مغلق بمدرعتين من القوات المسلحة ولجنة محتشدة من قوات الجيش والشرطة مترصدة لها في كمين موت محقق.

قائد الدارجة الملثم يخطف نظرة إلى الوراء بمكر ودهاء فترشقه سيارة الشرطة المطاردة له برصاصات طائشة كإنذار بالموت فيرتبك ارتباكاً شديداً ، ناظرًا أمامه في خوف كالمغشي عليه من الموت ، ثم يهدأ مضطراً من سرعة الدراجة رويداً ، رويداً ، وسط الزحام الواقف كالمستسلم اليائس .

صوت يتردد صداه من خلال مكبر صوت في كمين الموت يقطع بجلجلته حدة السكون الجاثي على المكان كله قائلاً كريح عاصف منذراً بالموت :

الصوت :

سلم نفسك يا أبو حمزة مفيش فايدة من الهروب المكان كله محاصر! المكان كله محاصر !

(٤) مكتب مدير أمن القاهرة

(حجرة المكتب غاية في الجمال والذوق الرفيع. مدير الأمن على عرش مكتبه يدير اجتماعاً أمنياً مهماً تبدو عليه علامات التوتر والقلق. قيادات الأمن أمامه في صمت تام وكأن على رؤوسهم الطير، يحدون أبصارهم إليه باهتمام بالغ).

يتفحصهم جميعاً بنظرات غاضبة وهو يقول بصوت متلعثم :

مدير الأمن :

كان لازم يتقبض عليه من ساعة ما عبر الحدو د، كان لازم نعمل له في كل مكان أكثر من كمين وماكانش لازم نضيع معاه كل الوقت ده ، هروب مجرم خطير زي ده بيهدد الأمن الوطني وبيعيش الناس في حالة رعب مستمر، كان لازم نبقى مستعدين له أكثر من كده !! البلد مش ناقصة يا حضرات ، حقيقي بلدنا مش ناقصة. كفاية إللى إحنا فيه !!!

تبدو لوحة مكتبه مستطيلة مذهبة بماء الذهب مخطوط فيها بخط النسخ الجميل اسم ذلك الرجل ، ووظيفته ، كما تبدو الأعلام من على يمين ذلك الرجل وشماله مسدولة وساكنة كالمنصتة لما يقول .

(٥) كورنيش النيل بالمعادي

قائد الدراجة النارية الملثم يتوقف بدراجته متنفساً الصعداء من أعماقه بمشقة كالمحتضر ..... قائد الدراجة : آه ، آه

ينادى عليه من خلال مكبر الصوت في كمين الموت فيأتيه الصوت كالصاعقة

الصوت :" سلم نفسك يا أبو حمزة ، أنزل من على الموتوسيكل وسلم نفسك "

يرتجف جسمه النحيف من شدة الخوف فينكمش على بعضه إنكماشاً كطائر مبتل تحت المطر، لكن الصوت يصعقه :

الصوت :" سلم نفسك يا أبو حمزة "

أحسن لك تسلّم نفسك، سيادة العقيد فهمي اتقدم بقواتك الخاصة وحط الكلبشات في إيديه، نفذ بسرعة.

صدى الصوت يتجلجل في المكان كله كزوبعة رياح عاصفة وحركة المرور واقفة ، فالسيارات متراكمة ، متلاصقة وجماهير الناس فوق الكورنيش شبه متظاهرة ، وقنوات فضائية هنا وهناك تسجل الأحداث. وأبراج المعادي الشامخة يتلألأ ضوؤها وسط النجوم الساهرة.

(٦) مقهى شعبي بحي الحسين

المقهى مكتظ بالجماهير الغفيرة من الرجال والنساء والأطفال تراهم ككتلة واحدة متلاحمين ، متلاصقين ، متزاحمين أمام شاشة عرض كبيرة بمدخل المقهى الممتد في طوله كشارع جانبي .

شاشة العرض تأتي بالكمين بكل مافيه ، فيبدو المجرم الملثم وسط مجموعة من القوات الخاصة منكسراً والصوت مازال يتردد في جنبات شاشة العرض فيصم الآذان صماً ويخلع بحدته القلوب خلعاً :

الصوت من خلال شاشة العرض :

أي محاولة هروب تانية منك فيها موتك ، ارفع إيديك لفوق وسلم نفسك ، سلم نفسك ، سلم نفسك !!! .

والناس في ازدحام مستمر أمام شاشة العرض في مدخل تلك المقهى ، تبدو على وجوههم علامات التعجب والاستفهام لكن طفلا من بينهم يتأثر بما شاهده وتأخذه نوبة حماس فيصيح الطفل " تسلم الأيادي تسلم يا جيش بلادي ، تسلمي يا شرطة بلادي ، تحيا مصر، نموت ، نموت ، وتحيا مصر ، نموت ، نموت ، وتحيا مصر . يبدو اسم المقهى واضحاً على لوحة رخامية بواجهة المكان " قهوة الفيشاو ي".

(٧) مدخل وزارة الداخلية

عنوان المبنى يعلن عن نفسه بكبرياء، وشموخ كأنه يتحدى الأحداث

مبنى الوزارة غير مستقر على حاله ، فسحابة من الخوف والرعب تخيم على المكان ؛ لتجعل الجميع في حالة موت وهم أحياء .

فالمكان مخيف بطبعه والليل حالة من حالات طوارئ الداخلية والأنوار ساطعة كنيران ملتهبة تأكل بعضها بعضاً .

مدخل الوزارة كمعسكر منضبط، لكن الدماء تغلى في العروق والخوف يمزق الأفئدة ، ويغيب العقول ويتطاير بها، فيأتي نشاط الجميع همجياً وتأتي تصرفاتهم ؛ لتعلن عن حالاتهم النفسية ويتضح ذلك من خلال :

- ازدحام مدخل الوزارة بالضباط الصاعدة والهابطة في آن واحد، في عجلة من أمرهم وكثرة سيارات الشرطة المصفحة التي تحدق بالمكان كله وهي في وضع استعداد، وجنود القوات الخاصة المصطفون في صفوف كأسنان المشط والمدججون بالأسلحة في وضع دفاع.
- سيارات كبيرة تنطلق معبأة بالجنود وسيارات أخرى تتوقف ليهبط منها الجنود و حركات كر ، وفر، ومدافع حول المبنى وأعلاه و كلاب حراسة مدربة تهز أذيالها فرحة بما

تصـــنع ، ورنـــين تليفونـــات حجـــرات المبـــنى الـــذي لا ينقطـــع كـــأجراس الكنـــائس في أعيادهـــا منـــذرة بـــالخطر الـــداهم وأشـــخاص تـــرد عـــلى تليفونـــات حجـــرات المبـــنى المتعـــددة ، كـــل شـــخص في مكتبـــه لكـــن أصـــواتهم تتـــداخل معـــاً ، وتـــتلاحم فيـــأتي صداها من نوافذ الحجرات ينازع بعضه بعضاً .

شـــخص (١) : إيـــه يـــا مصـــطفى؟ أنـــت لســـه في مكتبـــك؟ هـــو ده وقـــت اجتماعـــات يـــا بـــني آدم؟! ســـيب إلـــلي في إيـــدك وتعـــالى بســـرعة سيادة الوزير عاوزك! يا بني آدم اتحرك البلد حاتضيع مننا؟ أف.

شـــخص(٢) : أيـــوه يـــا أفنـــدم ســـيادة الـــوزير بيتـــابع بنفســـه المشـــهد بكـــل وضـــوح عـــلى شاشـــة العـــرض بمكتبـــه ، وعنـــد معاليـــه بعـــض التحفظـــات إلـــلى حايوضـــحها للـــرأي العـــام إن شـــاء الله في المؤتمر الصحفي بكره بديوان الوزارة .

شـــخص (٣) : زي مـــا العـــالم كلـــه شـــايف رجالتنـــا مســـيطرين عـــلى الموقـــف تمامـــا والإرهـــابي الخطـــير بقـــا تحـــت إيـــدينا خـــلاص وبكـــره حا يبقا حديث العالم أجمع .

شـــخص (٤) : الموقـــف يتطلـــب الحـــذر ده مـــش إرهـــابي عـــادي! ده عضو مؤسس في جماعة داعش.

شـــخص (٥) : بالزمـــة ده اســـمه كـــلام يـــا فـــاتن ؟! عيـــد مـــيلاد إيـــه وزفت إيه ؟! إحنا في إيه واللا في إيه ؟

شـــخص (٦) : الموضـــوع كبـــير ومـــش ســـهل زي النـــاس مـــا هي فـــاكرة ، الموضـــوع مـــش مجـــرد إرهـــابي خـــطى الحـــدو د ، لا، لا وألـــف لا الموضـــوع تـــار، تـــار وعـــاوزين يخـــدوه مننـــا ، مـــن ســـاعة مـــا طيرانـــا الحـــربي مـــا دك حصـــونهم في ليبيـــا وراح مـــنهم إلـــى راح وهمـــا حاطينـــا في دمـــاغهم وبيخططـــوا إزاي ينتقمـــوا مننـــا ، وإسرائيـــل مـــش سايباهم وعمّالة تحرض فيهم بكل ألوان التحريض .

شـــخص (٧) : المـــؤتمر بكـــره الســـاعة اتنـــاشر ظهـــراً معـــالى الـــوزير حـــا يوضـــح للـــرأي العـــام طبيعـــة المخطـــط إلـــى رســـماه جماعـــة داعـــش الإرهابيـــة للنيـــل مـــن أمـــن الـــوطن، واســـتقراره ، والـــذي يهدف لبناء معسكرات تابعة لهم في الصعيد .

شـــخص (٨) : الصـــورة لســـه مـــااكتملتش بالتأكيـــد، وماحـــدش عنـــده الحقيقـــة كاملـــة فيـــه غمـــوض في الموقـــف، انهـــارده الصـــبح اتعـــرض ســـجن طـــره للســـطو المســـلح وكانـــت مدبحـــة زي مـــا النـــاس كلهـــا عارفـــة ، كـــانو عـــاوزين يهربـــوا بعـــض الإرهـــابيين وراح ضـــحية هـــذا الســـطو تمانيـــة وعشـــرين مـــن رجـــال الشـــرطة وحـــداشر مـــن عنـــاصر الســـطو والنـــاجي الوحيـــد في العمليـــة دي كلهـــا هـــو الإرهـــابي الممســـوك في كمـــين المعـــادي ومحـــدش قـــادر يجـــزم لغايـــة دلـــوقتي هـــل الإرهـــابي الممســـوك ده هـــو أبـــو حمـــزة إلـــي المخـــابرات العامـــة قـــدمت عنـــه تقريـــر للداخليـــة الشـــهر المـــاضي والـــلا ده مجـــرد واحـــد مـــن الإخـــوان كـــان مشـــارك في العمليـــة علشـــان كـــده الصـــورة لســـه ماكتملش.

نصيحة مني أصبر شوية وبلاش تنشر حاجة دلوقتي.

شـــخص (٩) : مـــن الســـاعة أربعـــة صـــباحاً مادخلشـــي في جـــوفي طعـــم الـــزاد لغايـــة دلـــوقتي ، وآ هي داخلـــة عـــلى حـــداشر ونـــص مســـاء اً، النهـــارده كـــان يـــوم ماشـــوفتش زيـــه في حيـــاتي خـــلال التلاتـــين ســـنة إلـــلى خـــدمتهم في الداخليـــة ، أنـــتي بتقـــو لى ايـــه ؟ آكـــل إزاي ؟ ومـــين بـــس حـــا يجيلـــه نفـــس ياكـــل بعـــد الجثـــث والـــدم والخـــراب إلـــلى كنـــا فيه ...؟ !

شـــخص (١٠) : يـــا ســـيادة الـــريس ســـعادتك عـــارف إن أنـــا وضـــباطي وكـــل أفـــراد الداخليـــة في الشـــوارع مـــن ســـاعة مـــا عرفنـــا خـــبر اقتحـــام الســـجن يـــا أفنـــدم مـــا قصـــرناش في حاجـــة عـــلى الإطـــلاق ، يـــا أفنـــدم الموضـــوع مـــش بـــالحجم إلـــلى ســـيادتك متصـــوره ، ده مجـــرد (ســـطو مســـلح) كـــان هدفـــه تهريـــب بعـــض المجـــرمين، وده مـــش أول ســـطو مســـلح تتعـــرض لـــه الســـجون، وســـيادتك عـــارف إن فيـــه تمانيـــة وعشـــرين بطـــل مـــن أبطـــال الداخليـــة قـــدموا أرواحهـــم فـــداء للوطن ، وراحوا ضحية الهجوم اللعين

يـــا أفنـــدم مفـــيش دا عي لمجلـــس دفـــاع وطـــني علشـــان مـــا نـــديش للموضـــوع أكـــبر مـــن حجمـــه ، تأكـــد يـــا أفنـــدم إ ن الداخليـــة وحـــدها كفيلـــة بالموضـــوع ، كلهـــا دقـــائق يـــا أ فنـــدم وحـــا نقـــدر نعـــرف حقيقـــة المجـــرم إلـــلى في أيـــدين الشـــرطة وهـــل هـــو الشـــخص إلـــلى متربصـــين لـــه ؟ والـــلا ده مجـــرد إرهـــاربي عـــادي قـــدر يهـــرب

من الموت تحت أسوار طره ، كلها دقائق يا أفندم والحقيقة كلها حاتبان .

تأكد سعادتك إنها مجرد دقائق .

*****

الفصل الثاني

(١) كورنيش النيل بالمعادي

مجموعة من قوات الشرطة الخاصة مدججون بالأسلحة وفي وضع قتالي يحدقون بالمجرم الملثم في شبه دائرة، بينما المجرم الملثم يقفز هابطاً من فوق دراجته النارية رافعا يديه إلى أعلى مستسلماً، ذليلاً، دون همس، أو كلام غير أنفاس تعلو وتهبط .

يتقدم قائد تلك المجموعة بحذر وحرص إلى المجرم ؛ ليضع الكلبشات في يديه قائلاً بإنتصار :

العقيد فهمي : ياه ! أخيراً وقعت يا أبو حمزة !! دوختنا عليك يا راجل. !!!

(٢) مقهى الفيشاوي

جماهير الناس على اختلاف فئاتهم العمرية متكدسون أمام شاشة العرض وحولها كجيش من النمل حول قطعة من الحلوى .

يحـــدقون بأبصـــارهم إلى المشـــهد بمتعـــة، مشـــرئبة نفوســـهم بلـــذة الانتصـــار - لكـــن صـــوت أغنيـــة (تســـلم الأيـــادي) - يشـــوه عليهم متعة الأحداث ولذة المشاهدة وحب الاستطلاع .

(٣) كورنيش النيل بالمعادي

المجـــرم الملـــثم كالصـــيد الضـــعيف وســـط تلـــك المجموعـــة مـــن القـــوات الخاصـــة المفترســـين حـــال كونـــه ضـــعيفا ، مجهـــدا ، غريقـــا في عرقه .

العقيـــد فهـــمي يمســـك بإحـــدى ذرا ع المـــتهم المرتعشـــة محـــاولاً بحذر وضع الكلبشات بها وهو يقول بلهجة المنتصر :

" يـــاه !! أخـــيراً وقعـــت يـــا أبـــو حمـــزة ، أخـــيراً ربنـــا حـــايرحم النـــاس منك ويكفيهم شرك أخيراً. ياه !!!"

لكـــن - الصـــوت يـــأتي عـــبر الميكروفـــون في الكمـــين– كالصـــاعقة محذراً من كثرة الكلام مع المجرم وبأسلوب الأمر :

" انجـــز مهمتـــك يـــا فهـــمي، بـــلاش كـــتر كـــلام مـــع المجـــرم ، مفـــيش وقت "

وبينمـــا يلتفـــت العقيـــد فهـــمي خلفـــه فجـــأة حيـــث مصـــدر الصـــوت ، وقـــد أمســـك جيـــدا بإحـــدى ذرا عي المجـــرم ، ولكنـــه - لـــم يلبســـه الكلبشـــات بعـــد – إذ تحـــول المجـــرم الملـــثم في ثانيـــة إلى وحـــش كـــاسر و في لحظـــة خاطفـــة وبمكـــر شـــديد وفي سرعـــة شـــديدة اســـتطاع أن

يطـــوق العقيـــد بذراعـــه الآخـــر تطويقـــاً، وقـــد نجـــح في أن يخنقـــه بمعصم يده بكل شدة و عنوان

فتســـترخي يـــد العقيـــد الممســـكة بـــذراع المجـــرم وتتـــدلى بجانبـــه كأنـــه يحتضر مستغيثا ببحة صوت وغرغرة .

" إلحقوني "

لكـــن - المجـــرم - اســـتطاع أن يجذبـــه إليـــه جـــذبا شـــديداً ، خاطفـــاً بخفـــة يـــده ســـلاحه الأمـــيري مـــن جـــراب شـــدته ؛ ليضـــعه في مفـــرق رأسه صائحاً ، ناذراً بالموت حين قال :

إلـــلي حـــا يقـــرب مـــني حاقتلـــه ، ســـامعين أنـــا بقـــول إيـــه ؟ إلـــلى حـــا يقرب مني حاقتله ، حاقتله .

بينمـــا العقيـــد ترتعـــد أطرافـــه ويـــرج جســـمه رجـــاً شـــديدا كمـــن صـــعق بتيـــار كهربـــائي مســـتغيثاً بغرغـــرة متشـــنجاً : " إلحقـــو ني " لكـــن - المجـــرم الملـــثم – يعصـــر عنـــق العقيـــد عصـــراً ، فيخنقـــه بمعصـــم يـــده واضـــعا الســـلاح بمفـــرق رأســـه ؛ ليصـــبح عنـــق العقيـــد بـــين يـــدي المجـــرم كمســـمار بـــين فـــكي الكماشـــة فيـــدٌ تخنقـــه والأخـــرى تضـــع الســـلاح في مفـــرق رأســـه ثـــم يصـــيح بـــأعلى صـــوته نـــاذراً بـــالموت : إلـــلى حـــا يقـــرب مـــني حاقتلـــه ، ســـامعين أنـــا بقـــول إيـــه ؟ إلـــلى حـــايقرب مـــني حاقتلـــه ، حـــا قتلـــه . إرجـــع ورا أنـــت وهـــوه ، وارمي ســـلاحك عـــلى الأرض . سامعين بقول إيه ؟ ، سامعين بقول إيه؟

ارمي سلاحك على الأرض ..... ارمي سلاحك على الأرض .

(٤) مقهى الفيشاوي

المقهى في حالة سكون تام .

الجميع واقف على أعصابه يعض على أنامله من الغيظ .

- **مات صوت الأغاني واندفن ، اكفهرت الوجوه وعبست من الغضب ، ودمعت العيون محدقة بتلك الشاشة الكائنة بمدخل تلك المقهى المتسع المزدحم . بكاء الأطفال كطنين النحل يدوي في المكان قاطعا لهذا السكون فجأة . همجية الشباب تفجرت كالبركان بلا ترتيب ، لكن امرأة شعبية لها رأيا فتلقي به بكل بساطة قاطعة به حالة اللامبالاة ومتجاوبة به مع بكاء الأطفال وثورة الشباب المشتعلة :**

والنبي عليكم ماترجعوش لورا ، "اهجموا عليه ، وا ضربوه في المليان ."

الجميع يصيح في حالة من الهستريا .

- **اضربوه في المليان .**

لكن - صوت المجرم الملثم - ينبعث من خلال شاشة العرض ليصم الآذان صما حين يقول آمراً :

ارجعوا بسرعة لورا ، وارموا السلاح ، إلى حايقرب مني حاقتل القائد ، إلى حايقرب مني حاقتل القائد ، إلى حايقرب

مـني حـا قتـل القائـد، إلـى حـا يقـرب مـني حـا قتـل القائـد ، ارجعـوا بسرعة لورا ، وارموا السلاح .

" تستأنف المرأة كلامها باكية مستغيثة قائلة :

اهجمـــوا عليـــه واضربـــوه في المليـــان ، والنـــبي علـــيكم مـــاترجعوش لورا و ماتسمعوش كلامه " .

ماحـــدش فـــيكم يـــر مي ســـلاحه ، اهجمـــوا عليـــه واضربـــوه في المليـــان ماتســـمعوش كلامـــه. ماحـــدش فـــيكم يـــرمي ســـلاحه، اهجمـــوا عليـــه واضربوه في المليان، ضحوا بالقائد علشان خاطر مصر.

الجميع يصيح في حالة من الهزيان :

ضـــحوا بالقائـــد علشـــان خـــاطر مصـــر، ضـــحوا بالقائـــد علشـــان خاطر مصر، علشان خاطر مصر.

صـــياح ، وضـــجيج، وهـــرج ، ومـــرج تتـــداخل الأصـــوات معـــاً كالنسيج محدثة ضوضاء قاتلة .

(٥) كورنيش النيل بالمعادي

المجـــرم الملـــثم مـــا زال مســـيطرا عـــلى الموقـــف محتميـــا بقائـــد مجموعـــة القـــوات الخاصـــة واضـــعا الســـلاح في مفـــرق رأســـه مهـــدداً بقتلـــه ، يـــأتي الصـــوت عـــبر ميكروفـــون كمـــين المعـــادي- هـــدي نفســـك يـــا أبـــو حمـــزة، الـــلي بتعملـــه ده مفـــيش فايـــدة منـــه، أحســـن لـــك تســـلّم نفســـك، أحســـن لـــك تســـلم نفســـك، و تســـلم المســـتندات إلـــي

معـــاك، بالطريقـــة دي بـــس حانقـــدر نعتـــبرك شـــاهد ملـــك. اســـمع الكلام يا أبو حمزة.

وبينمـــا يتراجـــع جنـــود القـــوات الخاصـــة متقهقـــرين بظهـــورهم عـــلى مهـــل وحـــذر وقـــد ألقـــوا بأســـلحتهم الآليـــة عـــلى الأرض والغـــيظ يفتـــك بقلـــوبهم فتكـــا . إذ بمدرعـــة مـــن مـــدرعات الكمـــين تتحـــرك وبســـرعة فتأخـــذ ملفهـــا ؛ لتكـــون في مواجهـــة المجـــرم الملـــثم ثـــم تتوقـــف دونمـــا شيء ، لكـــن المجـــرم ينفعـــل في ثـــورة وينفجـــر كالبركـــان ويعصـــره الخـــوف مرتبكـــاً ارتباكـــاً شـــديداً فيضـــغط بكـــل قوتـــه عـــلى عنـــق هـــذا القائـــد ، كحصـــن يحـــتمي بـــه ، ثـــم يتســـلل بأصـــابعه إلى مخالـــب لـــه بالســـويتر الـــذي يرتديـــه مخرجـــاً مجموعـــة مـــن أصـــابع الـــديناميت الفتاكـــة ؛ ليشـــعل بهـــا النـــار بولاعـــة في يـــده في سرعـــة مـــن أمـــره ، ثـــم يلقيهـــا عـــلى مجموعـــة الضـــباط المتقهقـــرين فينقلـــب المكـــان بمـــن فيه إلى جحيم في ثوان معدودات .

انفجـــرت أصـــابع الـــديناميت انفجـــاراً في مجموعـــة الضـــباط المتقهقـــرين ، والكمـــين، وجنـــود القـــوات المســـلحة جميعـــاً ، وتحـــول المكـــان كلـــه لبحـــر مـــن الـــدماء وتـــلال مـــن الأشـــلاء المتفحمـــة ولـــم يكتـــف المجـــرم بـــذلك ، بـــل قـــذف بالعقيـــد فهـــمي وســـط النـــيران والانفجـــار؛ ليحـــترق مـــع المحترقـــين منقلبـــاً عـــلى رأســـه انقلابـــاً ، والجمـــاهير مـــن النـــاس يفـــرون مـــدبرين ،

فيرتطمون بعضهم ببعض في موجة من الصياح ، والصراخ ، والاستغاثات .

المجرم الملثم يهرول وسط الانفجار والزحام والنيران هرولة ظبي خائف ، فيعدو عدواً ، ويقفز من فوق الناس قفزاً ، يتعركل تارة ، ويعدو تارة أخرى ، ثم تطير به قدماه ؛ ليعتلى سيارات واقفة وأناسي فوق الكورنيش مذعورين ؛ ليلقي بنفسه من أعلى سور الكورنيش في نهر النيل الغائر كغواص محترف ثم يختفي عن الأنظار فجأة ، كأنه لا شيء ، كأنه لا شيء ، كأنه لا شيء .

قد تلاشي، قد تلاشي ، قد تلاشي.

(٦) مقهى الفيشاوي

(حالة من الشجن تسيطر على جنبات المقهى)

ثورة تنفجر كبركان .

الجماهير تندفع اندفاعاً إلى الشاشة الكبيرة الكائنة بمدخل المقهى في حالة ذعر، ورعب ، لا يطيقون النظر إلى أشلاء الناس المتطايرة ، تصك آذانهم أصوات الانفجارات فتختلع لها قلوبهم ، فيندفعون إلى الشاشة يكسرونها تكسيراً، في موجة صاخبة من الصياح ثم يخربون المقهى تخريباً متسابقين يسبق بعضهم بعضاً في كل خراب ودمار ثم يقذفهم المكان قذفاً إلى

ساحة ميدان الحسين في مظاهرة شعبية كبيرة ينددو فيها بالأحداث ، ويطالبون فيها بالقصاص فيصيح أحد الشباب وهو معتلياً اكتاف الرجال قائلاً بحزن

يا إرهاربي يا جبان .. يا عدو بني الإنسان

والجماهير من خلفه ، وبين يديه ، وحوله ، يرددون وهم يبكون :

يا إرهاربي يا جبان . . يا عدو بني الإنسان

(٧) مدخل وزارة الداخلية

الحركة أمام مبنى الوزارة تكاد تكون مشلولة من واقع الأحداث التي جاءت محطمة لآمال رجال أبطال يسهرون الليل ، ولا ينامون .

الجميع في مكانه ، والليل ينهزم كلاعب شلت قدماه ، والتليفونات سكتت أجراسها ، غير جرس جاء متأخراً ؛ ليقطع سكون حجرة مضيئة يرفرف هواء الفجر ستائر نافذتها فتمتد يد خلف الستائر المرفرفة ؛ لترفع سماعة التليفون ويرد صاحبها بخوف وبصوت ممزق الأحبال .....

أيوه يا ريس

بتقول إيه سعادتك ؟!

حضرتك عاوزني أقدم استقالتي ؟!

يا أ فندم الموضوع خرج من أيدينا كلنا .

يا أفندم الموضوع أكبر مما كنا نتصور .

إدينا فرصة أخيرة نحاول فيها .....

يأتي صوت المتحدث معه في التليفون ؛ ليقول له آمر اً :

بكره الصبح تكون استقالتك على مكتبي .

*****

الفصل الثالث

(١) نهر النيل

(معدية ركاب تشق أمواج النهر كسمكة متوحشة ، هاربة ، في طريقها من المعادي إلى الشاطيء الآخر بمنيل شيحة ، تحمل على متنها مجموعة من ركاب الليل تمتزج أحاديثهم الساهرة بأضواء كلوبات المركب وخرير الماء الجاري كثرثرة مخلوطة بندى الفجر العاشق) .

شخص (١) : الشاي يا أبو عمه ، إيدك الكريمة ..

شخص (٢) : شاي ! تسلم إيدك ، شوية شاي في الخمسينة صح حلوة السبرتاية دي..

شخص (١) : بالهنا والشفا يا سيدنا ، حكم الفرد أعصابه سايبة من ساعة ماشاف بعينه إللى حصل ...

شـــخص (٢) : حســـبنا الله ونعـــم الوكيـــل ، قـــادر وحـــده يقصـــف عمرهم قادر على كل شيء ..

شـــخص (١) : معقولـــه ! بـــقى حـــد يصـــدق إن عيـــل ولـــد فرطـــوس زي ده يفجـــر كمـــين بحالـــه !! ، ويتســـبب في الخـــراب ده كلـــه ؟! حـــد يصدق ...!!

شـــخص (٢) : دول متـــدربين عـــلى الإجـــرام وواخـــدين عليـــه ...

شـــخص (١) : معـــاك حـــق يـــا ســـيدنا، ربنـــا كبـــير قـــادر يخلـــص العـــالم من شرورهم، ويرزقهم بعيد عننا ..

شـــخص (٣) : خـــلاص يـــا جماعـــة كفايـــة كـــلام في السياســـة قلوبنـــا تعبت ماعادش فيه فايدة ، أيوه ..

شخص (٤) : خلونا نشوف أكل عيشنا أحسن ..

شخص (٥): يا ترى الفجر أذن ولا لسه ؟ ..

شـــخص (٦) : والله يـــا معلـــم ماحـــد بقـــا عـــارف لهـــا فجـــر مـــن عشـــا، الليلة دي كانت صعبة أوي، كانت ليلة سودة ...

شخص (٧) : باقي على الفجر نصف ساعة ..

شخص (٥) : يا دوب نلحق السوق من أوله ..

شخص (٨): معانا على سوق البدرشين ؟

شـــخص (٥) : حـــاجرب رزقي في العيـــاط النهـــارده ، بيقولـــوا الـــرزق يحب الخفية .

شـــخص (٩) : ربـــك يوســـع علينـــا وعليـــك ، بيقولـــوا العيـــاط ســـوق كبـــير ورزقه واسع

شـــخص (١٠) : إلـــي معـــاه ســـجاير يـــولعلي أصـــل أنـــا مقريـــف عـــلى الآخـــر، دمـــاغي اتفرتكـــت مـــن صـــوت الانفجـــار وعنيـــا زغللـــت مـــن النـــار وعقـــلي ماعدش في مكانه زمانه طار، أيوه زمانه طار.

شـــخص (١١) : ولـــع يـــا أبـــو الجدعنـــة كلهـــا، مـــاهي الليلـــة دي ليلـــة الولعـــة، يـــاه ! ليلـــة الولعـــة تنفـــع عنـــوان فـــيلم في الســـينما مـــن إنتـــاج جماعـــة داعـــش الإرهابيـــة. الله يحـــرقهم زي مـــا حرقـــوا قلوبنـــا عـــلى ولادنا.

شـــخص (١٠) : تشـــكر يـــا ذوق، كمـــل جميلـــك وافـــتح لنـــا الراديـــو إللى معاك ده ، خلى السهرة تحلى.

شـــخص (١١) : كلامـــك أوامـــر يـــا أبـــو الجدعنـــة نخـــلى الســـهرة تحـــلى، وآ دي صوت العرب . وأحلوى يا سهرة .

الراديـــو يشـــدو بمقطـــع مـــن أغنيـــة (يـــا مســـهر ني - لأم كلثـــوم) الجميـــع يدنـــدن مـــع الراديـــو وكلمـــات الأغنيـــة في ســـعادة غـــامرة متناسيين تماما همومهم ، وأحزانهم ، كأنها لم تكن بالمرة .

تبـــدو المعديـــة بأنوارهـــا وســـط المـــاء كـــالقمر وســـط الســـماء ، كمـــا يبـــدو المجـــرم الملـــثم متشـــبثاً بمـــؤخرة المعديـــة تشـــبثاً، لكـــن - جســـمه النحيـــف - في غمـــرة الميـــاه تتلاعـــب بـــه الأمـــواج كالدميـــة . كأنه عفريت من الجن .

(٢) ميدان الحسين

(التظاهرات تندلع كاندلاع النيران في الهشيم) .

فالشباب يندفعون دفعاً كالشهب الملتهبة من الشوارع والحواري والأزقة ؛ ليتقابلوا جميعاً في الميدان تتحد صرخاتهم واستغاثاتهم معاً كصوت رجل واحد منهم .

ومازالت الشوارع والحواري والأزقة تقذف ما في أرحامها من المتظاهرين والمتظاهرات زمراً . فتنحدر تلك المجموعات لتنضم إلى المجموعة الرئيسية والمتمركزة وسط الميدان والتي مايزال قائدها يهتف محمولاً فوق الأعناق .

قوم يا مصري كفاية نوم .. خد بتاري وو في الدين

الجماهير من بين يديه ومن خلفه يرددون بأصوات راعدة وبحناجر ملتهبة .

قوم يا مصري كفاية نوم .. خد بتاري وو في الدين

القائد :
قم يا مصري أنا دم سال .. على الرصيف وسط الميدان
الجماهير :
قم يا مصري أنا دم سال .. على الرصيف وسط الميدان

(٣) منطقة مقابر

المجرم الملثم يهيم على وجهه وسط المقابر يهرول هرولة الظباء الخائفة تارة . ثم يتوقف من شدة الإعياء ؛ ليلتقط أنفاسه بصعوبة تارة أخرى واضعاً إحدى يديه على قلبه ، كأنه يريد أن يبطىء من دقاته المتدفقة ، ثم يرنو بناظريه إلى الأفق معجباً بمنظر النجوم المتناثرة كحبات اللؤلؤ المتلألئة وهو مستندٌ بظهره إلى إحدى المقابر المتآكلة مستأنساً بخليط من أصوات صراصير الليل ، ونقيق الضفادع المحمولة إليه عبر نسائم الليل الباردة .

(٤) ميدان الحسين.

ماتزال الشوارع والحواري والأزقة تقذف بالمتظاهرين والمتظاهرات زمراً ، زمراً ، فتنحدر مجموعة ؛ لتنضم إلى المجموعة الرئيسية المتمركزة وسط الميدان والتي مايزال قائدها يهتف محمولاً فوق الأعناق :

((يا حكومة إلحقينا .... الإرهاب بيحصد فينا))

والجماهير من بين يديه ومن خلفه يرددون بأصوات راعدة وبحناجر ملتهبة :

((يا حكومة إلحقينا .... الإرهاب بيحصد فينا))

(٥) منطقة المقابر

المجرم الملثم ما يزال هائماً على وجهه وسط المقابر مهرولاً خائفا يترقب ، يقفز كقرد من مكان إلى مكان ، ومن مقبرة إلى أخرى تطارده الأصوات من كل مكان فترعبه حال انطلاقه بطول المكان كرصاصة تبحث عن هدفها .

الأصوات التي تطارده أثناء جريه :

(١) سلم نفسك يا أبو حمزة ، مفيش فايدة من الهروب ، المكان كله محاصر – المكان كله محاصر .

(٢) أي محاولة هروب تانية منك فيها موتك ، ارفع إيدك لفوق وسلم نفسك .

المجرم الملثم يقع من قفزٍ عالٍ منكفئاً على وجهه وسط تراب المقابر صارخاً ، مستغيثاً ومتألماً – المجرم الملثم : آه

يحاول بكل صعوبة النهوض بجسمه المغروس وسط تراب المقابر مرتكزاً على ساعديه بكل مشقة وعناء ثم يعتدل ببطء شديد ؛ ليقف مستنداً على مقبرة متنفساً الصعداء كالمحتضر.

ثم يزيح اللثام عن وجهه متأففاً بكل غيظ : المجرم (أُف)

(٦) ميدان التحرير

استعراض تام للميدان بكل اتجاهاته . تكدس ، لافتات ، منصات للأحزاب وأعلام مصرية قد رسمت على وجوه أطفال أبرياء، وباعة جائلون نشيطون وكاميرات في كل مكان ، ومنابر وخطباء كلام فالمتظاهرون يحتشدون تباعاً في ساحة الميدان من كل فج عميق ، تعانق أصواتهم أصوات المآذن في صلاة الفجر عناقاً، فتختلط هتافاتهم مع القرآن المنبعث من ميكروفونات المساجد التي تصلى الفجر حول الميدان المشتعل.

هتاف ركن من أركان الميدان :

الهتاف مستمر ومتواصل لا ينقطع الهتاف هو: يا إرهاربي يا عميل .....يا عدو المصريين .

هتاف ركن آخر من أركان الميدان :

الهتاف مستمر ومتواصل لا ينقطع الهتاف هو: يا إرهاربي بص وشوف ..... شعب مصر-ع- الصفوف

تأتي أصوات القرآن الكريم من خلال ميكروفونات المساجد في صلاة الفجر .

ميكروفون (١) : { إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم

وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الحياة الدنيا و لهم في الآخرة عذاب عظيم } .. (المائدة – ٣٣)

صوت خطيب يتجلجل من فوق منبره بقلب الميدان من خلال سماعات صب كبيرة في كل مكان .

الصوت : كلا مي بوجهه وبكل قوة للدول الخاينة إللى بتمد الولاد دول بالمال والسلاح ، و بأقول للدول دي و بصوت عالي ومن فوق المنبر ده و في وقت الفجر ده من النهارده إحنا مش حانام مفيش نوم بعد اللي حصل، ومن اللحظة دي المصريين كلهم إيد واحدة كلهم إيد واحدة إيد المسلم في إيد المسيحي وإيد المسيحي في إيد المسلم الشعب كله إيد واحدة مع جيش مصر العظيم وشرطة مصر العظيمة ، المصريون كلهم نسيج واحد ولا مليون فتنة حاتقدر تفرقهم، ومصر أرض الكنانة حاتفضل محفوظة إلى الأبد، يرعاها الرحمن من فوق سبع سماوات رعاية كاملة

تحيا مصر ، تحيا مصر

والناس حوله يرددون بكل حماس وقوة وباستمرار لا ينقطع جماهير الناس في قلب الميدان :

تحيا مصر ، تحيا مصر ، تحيا مصر

ميكروفون (٢) : " قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ،

أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً " الكهف (١٠٣– ١٠٥)

جميع الهتافات في الميدان مستمرة ومتداخلة مع القرآن الكريم المنبعث من ميكرفونات المساجد في صلاة الفجر.

(٧) منطقة المقابر

ما يزال المجرم هائما على وجهه وسط المقابر، مهرولاً تارة ، قافزاً تارة أخرى ، يطارده في تلك المرة عواء ذئاب يأتي من بعيدٍ كحافز له على الجري بأقصى سرعة ممكنة كرصاصة طائشة تبحث عن هدفها إلى أن وصل إلى سور القرافة بشق الأنفس ، فيقفز بكل جسمه قفزة لأعلى طارحاً بنفسه خارج السور طرحاً كحدف بحر؛ ليرتمي بعتبة أحد البيوت العشوائية المواجهة عن قرب لسور القرافة فيضرب بابه الخشبي بكلتا راحتيه كالمستغيث ، ثم يرتمي أرضاً مغشياً عليه كأنه جثة هامدة فاقدا للوعي .

*****

الفصل الرابع

(١) كورنيش النيل بالمعادي

سيارات الإسعاف في سباق في نقل أشلاء وبقايا كمين المعادى محدثة ضجيجاً بأصواتها المرعبة المستمرة.

رجال الإسعاف وسط الرماد ينقبون جاهدين عن بقايا جثث محترقة وسط بكاء وعويل وصراخ أهالى الشهداء في مشهد تشيب فيه الولدان ، فهناك من يغشى عليه فيتساقط كالفراش ، كما يقوم رجال الإطفاء بمهامهم الخاصة المنوطة بهم من إطفاء أدخنة متصاعدة ، كما يبذل رجال المفرقعات قصارى جهدهم في البحث عن بقايا المواد المتفجرة في وسط حشد من رجال الشرطة والنيابة العامة والمخابرات. الطرق خالية من السيارات سوى سيارات الإسعاف والشرطة والحماية المدنية وسيارات رجال النيابة والشرطة العسكرية والتي شكل رجالها كردوناً محكماً حول مكان الحادث كالنحل حول زهرة متفتحة ، اقتراب من إحدى الدبابات المحترقة الموجودة بعرض الطريق ؛ لتظهر كلمة الجيش مكتوبة بخط أخضر على لوحة الدبابة المعدنية الخلفية كأنها استغاثة.

وهنـــاك فتـــاة في ســـن البلـــوغ تلفـــت الأنظـــار إليهـــا حـــال كونهـــا جاثيـــة على بلاط الكورنيش باكية مغنية بلحن مرير قائلة :

يا بلادي يا بلادي .. أنا بحبك يا بلادي

قولوا لأمي متزعليش ... وحياتي عندك متعيطيش

قولولها قولولها... معلهشي يا أمي

أموت ، أموت ، وبلادي تعيش

(٢) وزارة الداخلية

(مظهـــر عـــام لمبـــنى الـــوزارة مـــن الخـــارج والـــذي يبـــدو بأعلامـــه المنكسة كحزمة ورد ذابلة)

حالـــة ســـكون تـــام ، وحـــزن شـــديد تطـــرح جليًّـــا عـــلى وجـــوه الحراس وهم في أماكن خدمتهم أمام مدخل الوزارة .

- لكـــن صـــوتًا يـــأتي تسربـــاً مـــن إحـــدى النوافـــذ؛ ليقطـــع بذبذبتـــه ورعشته حالة السكون قطعًا فيسمع ولا يرى مصدره

الصوت :

نورت الوزارة يا أفندم

ألف مبروك يا معالي الوزير.

ربنـــا يعيـــنكم عـــلى المســـئولية الكبـــيرة الـــتي تحملتموهـــا في الظروف الصعبة اللي البلاد بتمر بيها دلوقتي.

حقيقي يا أفندم ربنا يكون في عونكم .

فيرد عليه بحزم ؛ ليقاطعه :

لو سمحت مفيش وقت للكلام ده خلونا نشوف إيه إللى ورانا أفضل . شغل الفيلم يا سيادة العميد .

(٣) داخل إحدى العشوائيات بمنطقة المقابر

المجرم الهارب يغطّ في نوم عميق فوق سرير بحجرة نوم بسيطة متدثراً تحت غطاء كثيف لا يرى منه غير وجهه المستطيل بلونه الشاحب المخطوف ، وامرأة بقميص نوم شفاف يشع جسمها المرمر كل حرارة وأنوثة ترقبه وتتأمله عن قرب وهي واقفة بجوار السرير، تدور عيناها متحيرة من أمره، ثم متسائلة في نفسها بكل الحيرة والخوف والقلق.

المرأة :

يا ترى إيه إللى جابك قبل ميعادك ؟

يا ترى إيه إللى حصل ؟ ويا ترى إيه إللى عمل فيك كده ؟ وإيه وإيه حكاية أبو حمزة دي كمان؟ وليه ما اتصلش وقال إنه جاي زي كل مرة؟ ليه؟ يا خوفي ليكون البوليس جاي وراه! أو حد من أفراد العصابة ربنا يعدي اليومين دول على خير، وربنا يخلصني من الشبكة السودة اللي وقعت نفس فيها دي، أنا كان مالي وشغل العصابات وقتالين القتلة دول ما كان كفاية عليا

التربيزة بتاعي والناس بتوعي.. بس حاقول إيه؟؟؟ نفس الإنسان طماعة. والطمع أول خطوة في سكة الضياع.

(٤) مدخل وزارة الداخلية

اقترب من لافتة المبنى وأعلامة المنكسة ، لكن صوتاً يأتي متجلجلاً قاطعاً بجلجلته حالة السكون بكل حدة كالسيف فيسمع بكل وضوح ولا يرى مصدره .

الصوت :

على الرغم من أن هذا التنظيم حديث الظهور على الساحة السورية إلا أنه ليس بتشكيل جديد ، بل هو الأقدم بين كل التنظيمات المسلحة البارزة على الساحة السورية خاصة والإقليمية عموماً .

تعود أصول هذا التنظيم إلى عام ألفين وأربعة ، حيث شكل الإرهابي أبو مصعب الزرقاني تنظيماً أسماه جماعة التوحيد والجهاد وأعلن مبايعته لتنظيم القاعدة الإرهابي بزعامة (أسامة بن لادن) حينها ؛ ليصبح ممثل تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين. وقد برز التنظيم على الساحة العراقية أبان الاحتلال الأمريكي للعراق على أنه تنظيم جهادى ضد القوات الأمريكية الأمر الذي جعله مركز استقطاب للشباب العرا قي الذي يسعى لمواجهة الاحتلال الأمريكي لبلاده وسرعان ما توسع نفوذ التنظيم وعديده ؛ ليصبح من أقوى المليشيات المنتشرة والمقاتلة على

الساحة العراقية في عام ألفين وستة لما خرج الزرقاني على الملأ في شريط مصور معلنًا عن تشكيل مجلس شورى المجاهدين بزعامة عبد الله رشيد البغدادي.

قتل الزرقاني في الشهر نفسه من إعلانه وعين أبو حمزة المهاجر زعيمًا للتنظيم في العراق.

وفي نهاية عام ألف وستة تم تشكيل تنظيم عسكرى يختصر كل تلك التنظيمات ويجمع كل التشكيلات الأصولية المنتشرة على الأرا ضي العراقية.

إضافة إلى أنه يظهر أهدافها عبر اسمه (الدولة الإسلامية) في العراق بزعامة أبو عمر البغدادي الذي استغل الأزمة التي اندلعت في سوريا والفوضى التي حصلت هناك؛ ليعلن دخوله على خط المواجهات في سوريا وكباقي التنظيمات التكفيرية المسلحة والمرتبطة بالقاعدة، وجد البغدادي وتنظيمه مساحة خصبة على الأراضي السورية لممارسة إجرامهم وتكفيرهم بالإضافة إلى استغلال الفوضى؛ لتحقيق المكاسب، وتوسيع النفوذ من الحدود السورية الواسعة مع العراق. دخل تنظيم الدولة إلى الأراضي السورية إلى شرق سوريا بالتحديد تحت شعار نصرة أهل السنة في سوريا معلنًا الحرب على النظام السوري.

وفي التاسع من إبريل ألفين وتلاتاشر أعلن أبو بكر البغدادي دمج فرع تنظيم جبهة النصرة مع دولة العراق الإسلامية تحت

مسمى الدولة الإسلامية في العراق والشام.. هذا هو اسمها الكامل الذي تم اختصاره بجمع الأحرف الفصلى من الكلمات لتصبح (داعش) اسم آخر لها يتم تداوله في المناطق التي تسيطر عليها في سوريا والعراق..

(٥) داخل إحدى العشوائيات بمنطقة المقابر

المجرم الهارب يزيح الغطاء عن جسمه متمطعاً فوق سريره بحجرة النوم البسيطة كالقط يفرد أطرافه ثم يتثاقب من أعماقه واضعاً إحدى يديه على فمه بخمول شديد ، ثم لم يلبث أن يغرق في نوم عميق مرة أخرى .

والمرأة في نفس الحجرة تبدو منهمكة على طشت غسيل لها تغسل ملابس له والقلق والخوف معاً يسيطران عليها، ويتضح ذلك جلياً على وجهها ونظراتها الحائرة فهى تنظر عن يمينها حيث شعلة بوتوجاز عليها إيناء كبير به ماء يغلى ، وتنظر عن شمالها ؛ لترى نفسها وهي تغسل كاشفة إحدى فخذيها في مرآة تسريحة قديمة لها، ثم تنظر أمامها حيث النائم فوق السرير وكأنها تذكرته من شرود فتنادى عليه في عجلة من أمرها ، وهي تعصر الملابس قائلة :

المرأة :

ما تقوم بقا يا سي إبراهيم دا العصر على آذان .

(٦) مكتب وزير الداخلية

حجرة المكتب محتشدة بكبار رجال الداخلية .

الوزير على مكتبهَ كالأسد في عرينه ، ثقته في نفسه تملأه وهم أمامه يجلسون - كأنَّ على رؤوسهم الطير - منتبهين كل الانتباه لشرح عميد الشرطة على شاشة عرض كبيرة، تعرض سطوراً منسقة بصحبة صور متعددة ومناظر خارجية مختلفة .

ها هو العميد محاضراً ، يشير بمؤشر في يده إلى بعض الفقرات بشاشة العرض والأنظار متعلقة به ور ؤ وسهم مغطاة بباريهات الشرطة كأقراص عيش الغراب متناسقة.

عميد الشرطة :

في الشهر الرابع من عام ألفين وعشرة وتحديدًا يوم تسعتاشر إبريل قامت القوات الأمريكية بتنفيذ عملية عسكرية في منطقة الثرثار استهدفت منزلًا كان فيه أبو عمر البغدادي، وأبو حمزة المهاجر وبعد اشتباكات عنيفة بين الجانبين واستدعاء الطائرات معًا تم قصف المنزل ليقتلا زي ما حضراتكم شايفين صورة البغدادي مع أبو حمزة المهاجر وهما قاعدين على ترابيزة بياكلوا مع بعض قبل قصف المنزل بدقائق، وبعد إسبوع واحد اعترف التنظيم في بيان له على الإنترنت بمقتلهما، وبعد حوالي عشرة أيام انعقد مجلس شورى الدولة الإسلامية في العراق؛ ليختار أبو بكر البغدادي خليفة لأبي عمر البغدادي والذي يمثل اليوم أمير

الدولة الإسلامية في العراق والشام أى أمير [داعش] فمن هو هذا الأمير؟

هو إبراهيم بن عواد بن إبراهيم البدري المولود عام ١٩٧١م في مدينة سامراء العراقية له العديد من الأسماء والألقاب منها (على البدري السامرائي، وأبو دعاء، والدكتور إبراهيم، والكرار، وأخيرًا أبو بكر البغدادي) هو خريج الجامعة الإسلامية في بغداد درس فيها البكالوريوس والماجستير والدكتوراة وعمل أستاذًا ومعلمًا وداعية، ظهر البغدادي في بادئ الأمر كقطب من أقطاب السلفية الجهادية وأبرز منظريها في محافظتي ديالي وسامراء العراقيتين، وأول نشاطاته بدأت من جامع الإمام أحمد بن حنبل، مؤسس خلايا مسلحة صغيرة في المنطقة قامت بعدد من العمليات الإرهابية وشاركت في حروب الشوارع التي شهدها العراق السنوات الماضية، أنشأ بعدها أول تنظيم أسماه جيش أهل السنة والجماعة بالتعاون مع بعض الشخصيات الأصولية التي تشاركه الفكر والنهج والهدف.

فيقاطعه أحد الجالسين واقفًا في ذهول ودهشة قائلًا متعجبًا وحائرًا ومشيرًا بسبابته إلى المحاضر قائلًا: معنى كده إن أبو حمزة المهاجر اتقتل مع أبو عمر البغدادي لما أمريكا قصفت منزلهم بالطيران.

فيرد عليه العميد معجبًا باستنتاجه قائلًا:

العميد: تمام كده يا سيادة اللواء، وده لو افترضنا صدق ما صرحت به القوات الأمريكية على الإنترنت بعد إسبوع واحد من خبر القصف.

فيواصل اللواء تعجبه واستفساره متسائلاً :

اللواء: هو فيه احتمال لعدم صحة الخبر يا سيادة العميد ؟

فيجاوبه العميد بكل ثقة مسروراً :

العميد: خبر قصف الطائرات الأمريكية لمنزل أبو عمر البغدادى بمنطقة الثرثار سنه ألفين و عشرة صحيح مائة في المائة ، لكن خبر قتل أبو حمزة المهاجر هو ده إللى فيه شك ، المنزل قُصِفَ بالطائرات الأمريكية ده صحيح وأبو عمر البغدادي انقتل جواه ده كمان صحيح

لكن إللى فيه شك، و إللى وكالات الأنباء لم تتفق على رأي واحد فيه حتى الآن هو [موت أبو حمزة المهاجر] إللى أمريكا صرّحت بموته مع أبو عمر البغدادى ساعة القصف الأمريكي لمنزل أبو عمر بمنطقة الثرثار سنة ألفين وعشرة، ليه يا أفندم؟ لأنه في التاريخ ده وفي التوقيت ده بالذات كان أبو حمزة خارج العراق كلها، وبالتحديد كان على رأس وفد من المهاجرين في مدينة حلب السورية، لتنفيذ عدة عمليات إرهابية ضد اليهود في إسرائيل ده اللي إحنا متأكدين منه، وعندنا بالتفصيل كل شيء عن هذه العمليات. وتاريخ كل عملية وبالرغم من ذلك فيه

مصادر أخرى بتأكد قتل أبو حمزة مع أبو عمر داخل البيت ساعة القصف وأمام تلاعب أمريكا بالكلام وتزييف كل الحقائق ماحدش قادر يرسي على بر حتى الآن.

فيجلس اللواء في حرية متسائلاً

اللواء : يعني الولد إلى فجر الكمين ده وانتحر ممكن ما يكونش هو أبو حمزة المهاجر واللا ليه علاقة بيه !!! .

فيرد عليه العميد ؛ ليزيده حيرة على حيرته ، قائلاً وهو يهز رأسه متعجباً

العميد : وممكن يا أفندم يكون هوه وممكن كمان تكون أمريكا هية نفسها إلى مجنداه زي ما جندت من قبله أسامة بن لادن وغيره من قبله ، وغيره وغيره ، علشان لمّا خطر الإرهاب يزداد وتكتر عمليات التفجير والاغتيالات الدول العربية تستغيث بيها وتقولها إلحقينا يا أمريكا فتكون بكده وفرت لنفسها الأسباب الشرعية للدخول على هذه الدول لنزح خيراتها ، والاستيلاء على ثرواتها بحجة القضاء على منابع الإرهاب.

(٧) داخل إحدى العشوائيات بمنطقة المقابر

المجرم الهارب واقفٌ أمام نافذة الحجرة المطلة على المقابر مجرداً من ثيابه العلوى فيبدو نحيفاً أسوداً كثيف شعر الصدر وبوجهه المستطيل العابس يرنو لعالم الآخرة بنظرات ساخطة

وكأنه يستشعر نهايته . فينفث أدخنة متكاثفة من سيجار بين إصبعيه دون كلام أو حراك فهو شارد الذهن سرحان. و في أحد أركان الحجرة نفسها توجد المرأة منكفيئة على طبلية خشبية تخرط ملوخية خضراء بمخرطة بين يديها و هي سعيدة، فلم تلبث أن تضع بجوارها المخرطة لحظة؛ لترفع غطاء حلة على شعلة البوتاجاز التي بجوارها قائلة في سرعة من أمرها :

المرأة : خلاص الفرخة استوت

ثم تضع غطاء الحلة مقفعاً ؛ لتستكمل خرط الملوخية لتواصل كلامها بكل أنوثة ودلال :

المرأة : ما تقفل الشباك ده يا سي إبراهيم لحد يشوفك معايا ، لسه الرجلين يا أخويا رايحة وجاية في القرافة .

ثم تواصل خرطها للملوخية ولم تنتظر استجابة منه ولكنها واصلت كلامها قائلة بكل ارتياح

المرأة : خلاص يا غالى حاتاكل من إيدى أحلى أكل بالهنا والشفا .

ثم تستطرد متسائلة :

المرأة : إلا قولى يا سي إبراهيم إيه يا أخويا حكاية أبو حمزة إللى بيقولوا عليه ده؟ يطلع مين أبو حمزة ده يا سي إبراهيم، وأنت

مالــك ومالــه ماتخلينــا في شــغلنا أحســن، مــش عــايزين نلفــت الأنظــار لينا.

فينفعــل إبــراهيم إنفعــالاً شــديداً ضــارباً دلفــة الشــباك بيــده فينغلــق ثــم تنفــتح مواربــة ، منفجــراً في الكــلام بصــوت حــاد كالســيف :

إبــراهيم : خلــيكي في حالــك يــا بــت وشــو في إلــلى في إيــدك وأنــتي ســاكتة مــا تخــرجنيش عــن شــعورى ، مــا تخــرجنيش عــن شــعورى ، ما تخرجنيش عن شعورى ، آه

فتــترك مــا في يــديها واقفــة ثــم مندفعــة إليــه بكــل لهفــة وشــوق، لتهدأ من روعه قائلة :

المــرأة : هــدي نفســك يــا سي إبــراهيم ، هــدي نفســك يــا غــالي ، والنبي ما قصدت إني أزعلك ! يقطعني .

تــرتمي عــلى كتفــه متنهــدة قائلــة وهي تســبح بأصــابعها في شــعر صدره الكثيف

المــرأة : ســامحني يــا هيمــا والنــبي مــا حســألك عــن أى حاجــة تزعلــك أو تنرفزك تاني ، روق بقا إحنا عاوزينك ، وحشتني يا غالي .

فيــتخلص مــن شــباكها يعصــرها مــن كتفهــا عصــراً بكــل قــوة ورجولــة ويقــذف بهــا قــذفا فــوق الســرير بكــل قــوة دفــع لديــه صارخاً :

إبـراهيم : يـا شـيخة سـيبيني في إلـلى أنـا فيـه ، ده أنـا شـفت المـوت بعنيـه ! مـش كفايـة حبسـتي معـاكى في المكـان ده إلـلى مـا بقـتش عارفلها نهاية.

ثم متافقاً بكل غيظ إبراهيم : أف .

(٨) مكتب وزير الداخلية

مـا يـزال عميـد الشـرطة محـاضراً فهـو يواصـل كلامـه شـارحاً بمـؤشر بيـده مشـيراً بـه إلى سـطور شاشـة العـرض ، وصـورها قـائلاً بكل تقمص لشخصية المعلم :

العميـد : للدولـة الإسـلامية بـالعراق تـاريخ دمـوى طويـل ، فمنـذ تـو لى أبـو بكـر البغـدادى زعامـة هـذا التنظـيم وبعيـداً عمـا نفذتـه القاعـدة قبلـه في العـراق في عهـد الزرقـاوى ومـن تبعـه قـام التنظـيم بتنفيـذ عـدد كبـير مـن العمليـات والهجمـات الإرهابيـة الـتي حصـدت أرواح الآلآف مـن العـراقيين أشـهرها كانـت عمليـة [مسـجد أم القـرى] في بغـداد الـتي أسـفرت عـن مقتـل النائـب العـرا قي خالـد الفهـداوى ، وهجمـات انتقاميـة لمقتـل زعـيم تنظـيم القاعـدة السـابق أسـامة بـن لادن ، حيـث شـن عـدة عمليـات إرهابيـة في العـراق أدت إلى إستشـهاد المئـات مـن رجـال الجـيش والشـرطة العراقيـة والمـواطنين وتبـين عـبر الموقـع الإلكـتروني التـابع لتنظـيم القاعـدة أكـثر مـن مائـة هجـوم انتحـاري انتقامًـا لمقتـل بـن لادن

تلاهـــا عـــدة عمليـــات في العـــراق كعمليـــة البنـــك المركـــزى، ووزارة العدل واقتحام سجني أبو غريب و الحوت .

فيتعجـــب الـــوزير متســـائلاً بكـــل اهتمـــام – الـــوزير(يـــا !! كـــل الهجمـــات دى انتقامـــا لمقتـــل أســـامه بـــن لادن ؟ !!) فـــيرد عليـــه العميد معتدلاً في وقفته ...

العميـــد : بـــالظبط كـــده يـــا أفنـــدم أكـــثر مـــن مائـــة هجـــوم انتحـــاري انتقاماً لمقتل زعيم تنظيم القاعدة السابق أسامة بن لادن.

(٩) حجرة إبراهيم بمنطقة المقابر

إبـــراهيم ذلـــك المجـــرم الهـــارب متربـــع أمـــام الطبليـــة يتنـــاول وجبـــة الغـــداء بكـــل شـــهية ونهـــم كـــالهيم ، بينمـــا المـــرأة تقـــف بجـــواره حاملـــة في يدها دورق الماء فرحة بذلك ، قائلة بصوت مسموع :

المـــرأة : مطـــرح مـــا يســـري يمـــرى يـــا غـــالى بـــألف هنـــا وشـــفا كُـــل يـــا أخويا ورم عضمك ده أنت رحت يا نضري من الدنيا.

فـــيرد عليهـــا ، رافعـــاً طرفـــه إليهـــا واللحـــم مكبـــوث بفمـــه قـــائلاً بصـــوت مخنوق

إبراهيم : تسلم إيدك يا بت . الله !

فتضع دورق الماء على الطبلية جالسة في مواجهته قائلة :

المـــرأة : تســـلم لى يـــا غـــالى يـــا أبـــو الرجـــال يـــا إلـــى مـــدوّخ العـــالم كلـــه وراك .

فيواصل أكله مع كلامه قائلاً :

إبـــراهيم : عارفـــة يـــا بـــت يـــا أشـــجان مفـــيش أطعـــم ولا أحســـن مـــن الأكـــل المصـــري في الـــدنيا، نكهـــة الأكـــل المصـــري ، و ريحتـــه الحلـــوة، مفيش زيها في الدنيا كلها.

فتضحك أشجان و هي تؤكله وتقول :

أشـــجان : عـــارف يـــا هيمـــا يـــا أبـــو الرجـــال ، أحســـن شـــعب أكيـــل في العالم يبقا مين ؟ يبق ا الشعب المصري

(١٠) مكتب وزير الداخلية

مـــا يـــزال عميـــد الشـــرطة محاضـــراً فهـــو يشـــير بمـــؤشره إلى صـــورة فوتغرافيـــة مكـــبرة بوســـط الســـطور المنســـقة ؛ ليواصـــل شرحـــه قـــائلاً :

العميـــد: دي صـــورة فوتغرافيـــة مكـــبرة لأبـــو حمـــزة المهـــاجر زعـــيم تنظـــيم داعـــش في العـــراق والـــذي تـــم تعيينـــه خلفـــا للإرهـــابي أبـــو مصعب الزرقاني بعد مقتله سنة ألفين وستة .

الجالســـون في ســـاحة حجـــرة المكتـــب يـــدققون النظـــر عـــلى الصـــورة المكـــبرة و الـــتي تكـــون [صـــورة طبـــق الأصـــل] مـــن إبـــراهيم ذلـــك المجـــرم الهـــارب والمختـــبئ بمنطقـــة العشـــوائيات مـــع عشـــيقته. ثـــم يواصـــل عميـــد الشـــرطة شرحـــه المفصـــل قـــائلاً بأســـلوب عـــذب وثقـــة في النفس :

العميد : فيه مصادر سرية أكدت هروبه من العراق إلى سوريا قبل عملية قصف منزل [أبو عمر البغدادى] بأربعة وعشرين ساعة علشان كده كل الشكوك بتحوم حواليه إنه هو إللى ورا كل التفجريات والاغتيالات إللى حدثت في الربيع العربي مؤخرا، طبعاً بما فيهم مصر ، وإللى مشكوك فيه كمان وهو ده إللى ما يخطرش على بال حد أبداً إن عملية هروبه دي كانت بتدبير من أمريكا نفسها.

فيردد الوزير آخر كلمتين من كلام العميد بكل تعجب :

الوزير " أمريكا نفسها " !!!!

(١١) حجرة إبراهيم بمنطقة المقابر

إبراهيم ذلك المجرم الهارب يقف أمام نافذة حجرته المطلة على المقابر، ناظراً بكل اهتمام خلف قضبانها الحديدية إلى ذلك العالم الخارجي الغارق في الظلام ، سوى ما تنثره حجرته من نور خافت شفاف ، يوضح لناظريه الغائرين أشباح تلك القبور أمامه من قريب وبعيد فهو متسمر القدمين ، شارد الذهن ، ينفث أدخنة سيجار بين إصبعيه بكل غزارة .

تأتي المرأة إليه - و هي شبه عارية - تحتضنه من الخلف بكل حنانٍ وشوق هامسةً ثم ملقية برأسها وخدها على كتفه من ناحية ظهره قائلة :

أشجان :

وحشتني يا أبو الرجال .آه

ثم تحوطه بذراعيها بكل أنوثة لديها ، وهي تفك بأناملها زرار قميص يرتديه ؛ لتدلك براحتيها شعر صدره الغزير هامسة قائلة

أشجان : وحشتني يا سي إبراهيم آه ! وحشتني يا غالى يا أبو الرجال، فينك ؟ وفين أيامك الحلوة ؟ آه !

(١٢) مكتب وزير الداخلية

يعتدل الوزير واقفاً من جلسته في شموخ وكبرياء ، فيقف الجميع لوقوفه في الوضع - انتباه - ثم يتفحصهم الوزير وهم أمامه كالخشب المسندة ؛

ليدليهم بأوامر وتعليمات هامة فيقول بصوت يملؤه الوقار :

الوزير : بعد هذا الشرح الوافي من سيادة العميد وما أطلعنا عليه من جذور تاريخية لهذا التنظيم الفاسد، وتعرضه للسيرة الذاتية لزعمائه، وما حدث في مصر الأيام الماضية، وما هو متوقع حدوثه في الأيام اللي جاية عاوز انضباط تام فاهمين؟ مش حاسمح بأي إهمال أو تسيب، الكل لازم يشعر بالأمان على أرض مصر ، والأمن لازم يكون مستتب ودي رسالتنا، ولازم نؤديها على أكمل وجه فاهمين يا حضرات؟

ثم ينظر عن يمينه إلى راية الشرطة، وعن شماله إلى علم مصر ويواصل قائلاً :

الوزير: دي راية الشرطة و بتحمل شعارها ، وده علم مصر إللي شايل تاريخها، وكفاحها الطويل ، فلازم .....

ثم يمسك بطرف كل من راية الشرطة ، وعلم مصر ، شارحاً قائلاً لمن أمامه :

الوزير: لازم تكون راية الشرطة دي فداء حقيقي لعلم مصر ده علشان كده بنقول دايما بالفعل ، مش بالكلام إن الشرطة في خدمة الشعب

وجميع أبناء جهاز الشرطة خدام لشعب مصر العظيم ، وتحيا مصر.

يصفق الجميع دون وعي فجأة قائلين باتحاد

الجميع : تحيا مصر

*****

الفصل الخامس

(١) حجرة إبراهيم - بمنطقة المقابر

إبراهيم ذلك المجرم الهارب ما يزال واقفاً كالشبح أمام نافذة حجرته المطلة على المقابر وقد جعل من أدخنة سيجاره الغليظ شبورة مع الضوء الشارد من الحجرة إلى الخلاء عبر النافذة، بينما أشجان تلك المرأة التي معه تغط في نوم عميق فوق السرير وهي بقميص نوم شفاف يظهر بطبيعته مفاتن جسمها المتفجر بالأنوثة يترامى إلى أذنيه الحادتين من بعيد في الخلاء نباح كلاب ضالة مع عواء ذئاب جائعة فيخفض بصره العالق بعالم الآخرة حيث قدميه المنصوبتين ؛ ليضرب بإحداهما بكل عنفوان راديو قديم متآكل ثم يلتقط السيجار بين شفتيه السوداوين منشغلاً بتزرير أزرة القميص المفتوح ، ثم ينفث الدخان في شبورة متشابكة ملتقطاً السيجار بين إصبعيه معاوداً النظر والتأمل إلى الفضاء الساكن والأفك المظلم وأشباح المقابر الغارقة في الصمت القاتل . لكن - الراديو - الملقى تحت الجدار وبين قدميه يتوقف فجاة عن ذبذبته ؛ ليشدو بأغنية يتأثر بسماعها، فيرق قلبه لها وتذرف عيناه الدموع بلا حساب وهو ما يزال متسمّراً بقدميه أمام نافذة حجرته المطلة على المقابر .

الأغنيـــة : في يـــوم ، في شـــهر ، في ســـنة ، تهـــدا الجـــراح وتنـــام ، وعمـــر جـــر جي أنـــا أطـــول مـــن الأيـــام ، وداع يـــا دنيـــا الهنـــا، وداع يـــا حـــب يا شوق يا أحلام .

(٢) جزيرة النباتات بأسوان

بحـــدائقها الرائعـــة ، وأشـــجارها الباســـقة ، ونباتاتهـــا المزهـــرة وشـــتلاتها النـــادرة ، وورودهـــا العـــاطرة ، وأرضـــها الخضـــراء اليانعـــة ورشاشـــات مياههـــا المتدفقـــة ، والـــتي تـــوزع المـــاء قطـــرات فـــوق أغصـــانها، وشقشـــقة عصـــافيرها، والنيـــل الجـــاري مـــن حولهـــا يحـــدق بهـــا بمراكبـــه الشـــراعية الشـــاهقة كروضـــة مـــن ريـــاض الجنـــة تنطـــق بكل فن وجمال.

تلـــوح في الأفـــق فـــوق منتصـــف الجزيـــرة طـــائرة هليوكـــوبتر فتهـــرب طيـــور الجزيـــرة بعيـــد اً ؛ لتحلـــق في مكـــان آخـــر ناجيـــة بنفســـها ، الطـــائرة تهـــبط شـــيئاً فشـــيئاً بكـــل هـــدوء ؛ لتســـتقر في مكـــان لهـــا بـــالجزيرة فـــوق أرضـــية نجيليـــة متناســـقة بمقاســـها هنـــاك بـــين أحواض الورد البلدي

يفـــتح بـــاب الطـــائرة ؛ ليهـــبط منهـــا رجـــلان عملاقـــان واحـــداً بعـــد الآخـــر كصـــخرتين ثـــم ينـــدفعان دفعـــاً نحـــو بـــاب الطـــائرة ؛ ليأخـــذان معـــاً بيـــد امـــرأة تحتضـــن كلبـــاً لهـــا، تـــوحي معـــالم وجههـــا مـــن خلـــف نظارتهـــا الشمســـية بكـــل آيـــات الجمـــال وكـــل ســـمات القيـــادة فـــهي تهـــبط ســـلم الهليوكـــوبتر بخفـــة ورشـــاقة كالفراشـــة ؛ لتســـتطلع

المكـــان بناظريهـــا الحـــالمتين ، الســـاحرتين معجبـــة بجمالـــه قائلـــة بهمس وتعجب كأجنبية تتحدث العربية بشيء من البساطة .

المرأة :

فانتســـتك. مكـــان جميـــل ، رائـــع كتـــير ، حلـــو كتـــير عـــن مقطـــم ، عـــن هـــرم ، هنـــا أعـــرف نتفـــق أعـــرف نـــتكلم هنـــا هـــدوء ، هـــدوء فينحني أحد العملاقين إلى يد المرأة يقبلها قائلاً :

عملاق (١) :

مسز لندا ويل كام - Miss Linda welcome

فتمشـــي في خـــيلاء بقـــوام كغصـــن البـــان عاريـــة الســـاقين أو تكـــاد ، يصـــطحبها العمـــلاق حيـــث أرجوحـــة بـــين شـــجرتين عـــاليتين ؛ لـــتلقي بنفســـها داخـــل الأرجوحـــة و هي مـــاتزال تحتضـــن كلبهـــا ثـــم تتنهـــد بعمق متسائلة :

لندا :

هوه فين ؟ !

فـــيرد عليهـــا العمـــلاق وهـــو يحـــرك الأرجوحـــة بيـــد واحـــدة قـــائلاً بكـــل ثقة وإعزاز

عملاق (١) :

المركب بتنزله هناك على شط الجزيرة والرجالة جايبينه وجايين اطمئني يا مس مواعيدنا مظبوطة وكل شئ مدروس بالورقة والقلم .

يعتدل واقفاً خالعاً نظارته الشمسية وهو يراقب المرأة المتأرجحة قائلاً :

عملاق (١) :

إحنا اتعلمنا الانضباط منكم يا أمريكان. فالفضل لكم .

فتلتفت عن يمينها حيث أحد شوا طئ الجزيرة ؛ لترى العملاق الآخر مصطحباً رجلاً معصوب العينين يسوقه أمامه وسط حراسة مشددة ، ثم يأتي به على عجل ؛ ليطرحه أرضاً بكل وحشية تحت أقدام المرأة المتأرجحة قائلاً بكل ولاء ، وإخلاص :

عملاق (٢) : أوامرك يا هانم .

تضع المرأة إحدى قدميها عليه ، بكل وحشية ، بينما هو ملتصق بالأرض التصاقاً كالجرادة ، فتطؤه المرأة بحذائها وطئاً موقفة الأرجوحة قائلة بكل كبرياء بلهجة الأمر

لندا: عايزة أشوف وشه ، أشوفه.

فينحـــني العمـــلاق بكـــل سرعـــة ؛ ليفـــك العصـــابة مـــن عـــلى عينيـــه ثم يعتدل معجباً بعضلاته قائلاً :

عملاق (٢) :

إللى تأمري بيه سيادتك.

فتأمره وهي ما تزال مضطجعة داخل الأرجوحة تحتضن كلبها

لندا :

قومـــه خليـــني أعـــرف أشـــوفه ، أعـــرف أكلمـــه ، أعـــرف أســـأله، عـــايزة أعـــرف منـــه مـــين إلـــى بعتـــه الجنـــاح بتـــاع أنـــا ؟ علشـــان يســـرق مســـتندات مهمـــة، مهمـــة كتـــير، عـــايزة أعـــرف منـــه ليـــه جماعـــة عـــرب بيكرهـــوا أمريكـــا ، ليـــه عـــايزين يـــدمروا اقتصـــاد بتـــاع إحنـــا ؟، إحنـــا كتـــير ، كتـــير ، نـــدي جماعـــة عـــرب مســـاعدات ومـــنح كتـــير ، كتـــير ، وهمه يكرهوا إحنا ليه جماعة عرب

يكرهوا إحنا ؟

فينحـــني العمـــلاق مـــرة أخـــرى ملبيـــا أمرهـــا ؛ ليوقفـــه بـــين يـــديها ، فيبـــدو ذلـــيلاً ضـــعيفاً ، تبـــدو عليـــه آثـــار التعـــذيب ، ولعنـــات القـــدر، فتصـــدمه بســـؤال سريـــع و هي تتأملـــه بشـــعر رأســـه المنكـــوش ، ووجهه المستطيل الدا مي المحفور بحفر التعذيب قائلة :

لندا :

اسمك إيه ؟

فيرد عليها متلجلجاً لا يكاد يمتلك أعصابه من هول الموقف قائلا :

((اسمي .. ، اسمي إبراهيم))

فترمش للعملاق بطرفها غمزة واحدة فينهال بسيف يده الحادة على ظهره ضربة واحدة ؛ ليطرحه أرضا في الحال فيصرخ إبراهيم طريحاً على الأرض – إبراهيم : آه

فيتسابق العملاق الأول إليه بكل حماس ؛ ليوقفه بين يديها وهو يقول له :

عملاق (١) : الهانم بتسألك اسمك إيه ؟ !

What is your name ?

يبقا لازم تجاوب صح وبسرعة .

ثم يُسدد له على الفور قبضة يد قوية تتوسط وجهه فتطرحه على ظهره طرحاً وهو يقول :

عملاق (١) : دول ما عندهمش وقت يضيعوه مع إللى زيك ، دول بتوع عصر السرعة .

يقع إبراهيم على ظهره أرضاً وسط الحشائش متأوها إبراهيم :

آه !! فيتسابق العملاق الثاني إليه ؛ ليوقفه بين يديها وهو يقول له :

عمـــلاق (٢) : جـــاوب عـــلى الهـــانم بتقولـــك اســـمك إيـــه ؟ جـــاوب مـــن غـــير مراوغـــة اســـأليه تـــا ني يـــا هـــانم اســـأليه كـــل الأســـئلة إلـــى أنـــتي عايزاهـــا منـــه إحنـــا هنـــا كلنـــا تحـــت أمـــرك ، كلنـــا تحـــت أمـــرك. فتقـــف المـــرأة تشـــطاط غضـــباً ؛ لتجذبـــه مـــن شـــعر لحيتـــه الطويـــل بكـــل عنف، ومكر، ودهاء فتسأله :

لنـــدا: أ نـــت مـــين ؟ وتبـــع أي منظمـــة ؟ وكنـــت بتـــدور عنـــدي عـــلى إيه ؟ ولحساب مين ؟

فيرتجف رجفة الموت ، قائلاً والخوف يمزقه

إبراهيم : ا سمي إبراهيم ، إبراهيم أبو الرجال يا هانم .

فتغضـــب المـــرأة مبتعـــدةً عنـــه ، ثـــم ترفـــع وجههـــا المشـــرق إلى الســـماء صائحة ، مستغيثة بصوتها الحالم

لندا : أ وه ، ماي جاد

فيتناولـــه العملاقـــان بـــين أذرعهمـــا يتســـابقان عليـــه في اللكلمـــات والـــركلات ، حـــتى تســـيل دمـــاؤه مـــن رأســـه ، ووجهـــه ولـــم يســـتطع الوقـــوف عـــلى قدميـــه فصـــار يزحـــف عـــلى بطنـــه كـــالأفعى ويقفـــز عـــلى يديـــه قفـــزات كالضـــفدع حـــتى وصـــل إلى المـــرأة ؛ لـــيرتمي تحـــت قـــدميها يلهـــث مـــن شـــدة الإعيـــاء كالكلـــب متأوهـــا ، مجهـــد اً ، ينفجـــر في البكـــاء قائلاً :

إبراهيم :

أبوس رجلك ارحميني .. آه

فتضـــربه المـــرأة بقـــدمها في بطنـــه ضـــربة موجعـــة ؛ لتنفجـــر فيـــه سبا وقذفاً بالإنجليزية :

لندا :

You are stupid

(٣) حجرة إبراهيم بمنطقة المقابر

إبـــراهيم ذلـــك المجـــرم الهـــارب يلـــقي مـــا تـــبقي مـــن الســـيجار أرضـــاً ثـــم يدهســـه بحذائـــه ، ثـــم يعتـــدل واقفـــاً ؛ ليجفـــف مـــا تـــبقي مـــن دمـــوع عـــلى خديـــه، ثـــم يتشـــبث بقضـــبان النافـــذة الحديديـــة تشـــبثا عاضاً على شفتيه غيظاً، ويرن صوتاً في أذنيه كالصاعقة

الصوت :

أبوس رجلك ارحميني .

فيزداد تعلقاً بالقضبان صارخًا بكل قوته

إبراهيم :

آه ! ليه ؟ يا ريتني كنت مت ، يا ريتني كنت مت.

ويرن الصوت مرةً أخرى في أذنيه

الصوت :

أبوس رجلك ا رحميني

فـــيزداد تعلقـــاً بالقضـــبان يريـــد خلعهـــا معترضـــاً ، كأنـــه يـــزيح جـــبلاً بصدره ليحركه

<u>إبراهيم :</u>

لا، لا

ويـــرن الصـــوت في أذنيـــه مـــرة ثالثـــة بصـــدى هـــاتفٍ كطنـــين النحـــل

<u>الصوت :</u>

أبوس رجلك ارحميني .

فتجتاحـــه نوبـــة هســـتريا حـــادة فيضـــرب القضـــبان برأســـه ضـــربات متتالية دون و عي وينفجر صارخاً من أعماقه ، <u>إبراهيم :</u>

كلاب ، ولاد كلاب ، آه

فتستيقظ أشجان من نومها فزعةً ، مرتبكةً ، خائفةً ، ومتسائلةً

<u>أشجان :</u>

إيـــه ؟ فيـــه إيـــه ؟ مالـــك ؟ مالـــك يـــا سي إبـــراهيم ؟ يـــا ســـاتر يا رب .

مالك يا أخويا كفانا الشر ؟ !!

ثم تندفع إليه ؛ لتنقذه مما هو فيه وهو ما يزال يضرب جبهته بقضبان النافذة ، ولسانه ما يزال يردد ما يقوله دون و عي منه أو تركيز

إبراهيم : كلاب ولاد كلاب

تجذبه إليها ؛ لتأخذه بين أحضانها و هي تقول :

أشجان : تعالى في حضني ، تعالى في حضني ، يا غالى تعالى

فتجد جبهته مخضبة بالدماء فتنخرط في البكاء و هي تتساءل حائرة

أشجان : إيه الدم ده كله يا سي إبراهيم ؟ ! يا ساتر يارب يا لهوي يا لهوي .. فيه إيه يا أبو الرجال ؟ سلامتك من كل ردئ يا غالى

يرتمي على كتفها كالحمل الوديع غارقاً في نوم هادئ كطفلٍ رضيع فتربت على ظهره براحة يدها ؛ لتهدئه بكل لطفٍ وحنان وتتمتم قائلة أثناء غلقها للشباك :

أشجان :

يا ترى مخبي علىّ إيه يا سي إبراهيم ، مخبي على إيه يا غالى ؟ من ساعة ما رحت تخلص الصفقة من تركيا المرة دي وأنت راجع حالك متلغبط يا ترى إيه إللى حصل ؟

(٤) تحت تكعيبة عنب بحديقة فيلاً لأحد الأثرياء

(أسرة فارهة تتناول وجبة الإفطار الخفيفة بحديقة الفيلا كعادتها. رجل مترهل الجسم، تو حي هيئته بالثراء الفاحش ، يجلس متكيئاً بجانبه على ركنة من خشب الزان منجدة بأقمشة من الديباج المستورد، تحت تكعيبة العنب بمنتصف حديقة الفيلا ماسكاً بإحدى يديه فنجان قهوة ، وباليد الأخرى سيجاراً مستوردا ينفث أدخنته بأعصاب باردة وبعدم مبالاة. و في مواجهته تحت التكعيبة زوجته وهي سيدة من سيدات المجتمع الراقيات تو حي معالم وجهها بجمال دابر، تتناول بعضاً من الكعك مع الشاي بهدوء. وعلى مقربة منها تجلس فتاة شقراء فاتنة، يتوفر فيها عنصري الجمال الرا قي وحلاوة الروح ، تلتهم سندوتشا في عجالة مع رشفات متتالية من فنجان شاي بحليب يتطاير منه الدخان كسحابة عارضة. ومن حولهم أربعة من الحرس الخاص المسلّحون وعلى أعلى مستوى من التدريب فضلاً عن المنتشرين في كل جنبات الحديقة مرابطين كالنمور الجائعة) .

تأتي امرأة من داخل الفيلاً كنسمة هواء تداعب أوراق الشجر لتقف أمام الرجل المتكئ بجانبه على الأريكة و هي في قمة الانضباط وبيدها جهاز (لاب توب) صغير وكم هائل من الصحف قائلة بين يديه :

المـــرأة : إكـــس كيـــوز مي مســـتر أبـــو هشـــيمة. جـــود مـــورنينج مـــدام ، جود مورنينج مدموذيل

ثـــم تقـــدم لـــه دســـتة مـــن الصـــحف قائلـــة بـــأدبٍ وحيـــاءٍ ونـــوعٍ مـــن الذكاء :

المرأة :

الجرايد يا أفندم وصحف المعارضة .

ثم مقدمة اللاب توب و هي تقول مواصلة الكلام

المرأة : وده برنامج سعادتك النهارده .

يضـــع الرجـــل فنجـــان القهـــوة عـــلى سرفـــيس مـــن الفضـــة أمامـــه عـــلى منضـــدة مســـتديرة مـــن الرخـــام ذات حامـــلٍ مـــن الجرانيـــت ثـــم يرتـــدي نظارتـــه بسلاســـلها الفضـــية متصـــفحا برنامجـــاً عـــلى الـــلاب تـــوب قـــائلاً بصوت يملؤه الكبر والخيلاء والإعزاز

أبـــو هشـــيمة : لا، لا، لا، يـــا أشرقـــت أنـــا مـــش فـــاضي لاجتماعـــات مجلـــس النـــواب النهـــارده مـــا أ نـــتي عارفـــة الميتيـــنج إلـــى مـــع الجـــروب الألمـــاني إلـــي في شرم الشـــيخ النهـــارده الســـاعة خمســـة وأنـــا عايز دماغي

تـــبقى رايقـــة للميتيـــنج ده بالـــذات مـــا أنـــتي عارفـــة دي صـــفقة العمـــر بالنســـبة لنـــا ، مـــا أنـــتي عارفـــة المشـــروع ده وأنـــا نفســـي أنفـــذه بالذات مع الألمان والألمان بالذات وأنتي فاهمة .

يعتدل في جلسته ماسكاً بالصحف ويكمل قائلا :

أبو هشيمة : إنما لو سمعت كلامك ورحت جلسة مجلس النواب الظهر حانتعطل وما حاينوبني غير الصداع ، ووجع القلب .

تمسك باللاب منه وتقول معتذرة

أشرقت : أوامرك يا أفندم نتصل بيهم ونعتذر.

يضع السيجار الذي بيده في مكان له بطفاية مذهبة الشكل فوق الرخامة. ثم يتصفح مانشتات الجرائد وهو يقول بكل ثقة ، وإعزاز أبو هشيمة : لا، لا سيبي الموضوع ده أنا حأتصرف فيه حابقى أتصل بيهم يمضو لى زي كل مرة. المهم إن مفيش قلبة دماغ قبل السفر .

فتعقب قائلة بصوتها العذب

أشرقت : أيوه يا أفندم بس المرة دي غير كل مرة. المرة دي المجلس الموقر حا يصوت على برنامج الحكومة.

وإحنا مصالحنا كلها مع الحكومة .. يبقا الأفضل إننا نحضر ونهتف ونؤيد

واللا إيه ؟

فيضحك الرجل مقهقها من أعماقه رغم حفاظه على هيبته ويقول

أبـــو هشـــيمة : وحياتـــك عنـــدي يـــا أرشـــقت المجلـــس كلـــه باصـــم بالعشـــرة عـــلى برنـــامج الحكومـــة قبـــل مـــا تعملـــه وقبـــل مـــا يكـــون ليهـــا برنامج من أصله هأ، هأ، هأ،

ثم ينصرف كالريح المرسلة و هي تقول :

أشرقـــت : أتمـــنى لمعاليـــك رحلـــة موفقـــة لشـــرم الشـــيخ. هايـــدي في شرم حـــاتكون في شرف اســـتقبال ســـعادتك، وحـــاتبعتلي تفاصـــيل كـــل شيء أول بأول على النت.. جود باي، جود باي

يتصـــفح الرجـــل مانشـــتات الجرائـــد بكـــل اهتمـــام ثـــم يـــنزعج انزعاجـــاً غير متوقع قائلاً بتعجب

أبـــو هشـــيمة : إيـــه ده هي الجرايـــد لســـه ماســـكة في تفجـــير كمـــين المعـــادي ؟ همـــه مـــا عندهمشـــي حكايـــة غـــير دي ؟ مـــا هي عشـــرات الأكمنـــة اتفجـــرت قبـــل كـــده !! إشـــمعنا مركـــزين عـــلى الكمـــين ده ؟ هي البلـــد ناقصـــة ضـــغط أعصـــاب ؟ بـــس لمـــا أروقلكـــم يا بتوع الإعلام.

فتشـــاركه ابنتـــه الحـــوار قائلـــة وهي تحتســـي آخـــر رشـــفة في مجهـــا واقفة لتعدل من هندامها ناظرة في ساعة يدها:

الابنـــة: يـــا ! ده أنـــا يـــدوب ألحـــق مـــاتش التـــنس في النـــادي، بـــاي دادي. آه، ردًا عـــلى الـــلي حضرـــتك بتقولـــه أو بتعـــترض عليـــه فماتنســـاش يـــا دادي العزيـــز إن الكمـــين ده غـــير أي كمـــين تـــاني! ده كمـــين في وســـط البلـــد وكـــان متـــأمن تـــأمين كبـــير مـــن قـــوات الجـــيش والشـــرطة وتفجـــيره

يعتبر ضربة قاضية لرجال الأمن وجهاز الشرطة كله ولسمعة الجيش كمان ومصر كلها.

فتشاركهما المرأة الحديث و هي تجفف فمها بمنديل في يدها قائلة :

المرأة : و هي الشرطة حاتعمل إيه ؟ ولا إيه ؟ ربنا يكون في عونهم.

فينهى الرجل الحديث غير مهتم قائلاً :

أبو هشيمة: ما علينا المهم إننا نتعلم من أخطائنا وماتتكررش تاني

فتنظر المرأة إلى ابنتها التي تهم بالذهاب قائلة لها:

المرأة ما تيجي معانا شرم الشيخ يا رنا ده أنا ودادى مسافرين النهارده ، ومش جايين قبل أسبوع ، تعالى معانا غيري جو

فترد عليها الابنة وهي في عجلة من أمرها بصوتها المملوء أنوثة وهيام

رنا : لا، لا مش وقته خالص أنتي ناسية يا ست الكل إني حناقش رسالة الدكتوراة بعد أسبوعين من دلوقتي ده أنا بعد مشوا ر النادي ده كل يوم وبعد ما باخد الشاور بتاعي بافضل مدفونة وسط الكتب والمراجع لغاية بعد كل ليل ...

فيعجب الرجل بما يسمع ويرد عليها محفزًا لها وهو ما يزال يتصفح الجرائد

أبوهشيمة : برافو - إتز فيري جود . ده أنا كنت فاكر إنك اكتفيتي بالماجستير وانشغلتي بالنادي وأصحابك عن تكملة الدراسات العليا بكلية الهندسة !!.

حقيقي برافو – شدي حيلك يا رنا عايزك تبقي أكبر مهندسة في العالم كله، شدي حيلك وأنا بوعدك حامسكك وزارة الإسكان في التعديل الوزاري اللي جاي واللي إحنا برضه حانقرره في الوقت المناسب وعلى الأقل يبقا زيتنا في دقيقنا والبلد بلدنا والحكومة حكومتنا واللي إحنا عايزينه بنعمله.

تهرول إليه هرولة الظباء؛ لتطبع على جبهته العريضة قبلة حارة قائلة في عجلة من أمرها:

رنا: كله بفضل سعادتك يا أحسن دادي في الدنيا ربنا يخليك لى أنت ومامي .

ثم تنصرف ذاهبة فيضحك الرجل ضحكة عابرة ناظراً إلى زوجته

التي تتصفح صفحتها على النت على تليفونها قائلاً :

أبو هشيمة: بتفكرني بيكي لما كنتي طالبة في كلية السياسة والاقتصاد، نفس نوبة الحماس اللي كانت عندك، نفس روح التحدي والإصرار.

فتبتسم الزوجة حال انشغالها بتصفح النت من على شاشة تليفونها قائلة:

المرأة : روح التحدي، والإصرار دي واخداها منك. أنت ناسي إحنا كنا فين، وأنت وصلتنا لفين؟ أنت فعلًا عظيم.

فيرد عليها مجاملًا

أبو هشيمة : لا يا دولت وإلا ماكانوش قالوا وراء كل عظيم امرأة وأنتي صاحبة الفضل في كل إللي أنا فيه وعلى رأي إللي قالوا الاعتراف بالحق فضيلة.

فتضحك المرأة بخفة دم قائلة:

دولت : لا صاحبة فضل ولا حاجة أنت اللي مجتهد وطول عمرك كنت مهندس ناجح.

التليفون المحمول يقطع حديثهما فيرد عليه، واقفًا، يمتلكه الغضب ويزلزله القلق، بصوت قاطع كالسيف:

أبو هشيمة : بتقول إيه يا مروان؟!!! صفقة تركيا ماتمتشي !!

مفيش صفقة من أصله؟! دي المفروض كانت وصلت من يومين!!

يتمشي بجسمه كالفيل يدك الأرض دگا، تسيطر عليه حالة من التوتر ثم يكمل:

أبو هشيمة : بتقول إيه؟ إبراهيم ما سافرش تركيا. ومفيش صفقة من أصله! يشد رباط الروب الحريري الذي يرتديه؛ ليحكم عقدته ثم يكمل

أبو هشيمة : أنا مش قادر أصدق نفسي ، أنا أكيد باحلم، أنا أكيد مش في وعيي، إزاي إبراهيم يعمل كده؟ إزاي يجرؤ ويعمل كده؟ إزاي يتغيب عن صفقة زي دي ؟! الولد ده أكيد اتجنن؟ وإزاي يعمل كده من غير إذني؟ هو نسى أنا عملت منه إيه؟ هو نسى هو كان فين وبقا فين؟ دا لولا وقفتي معاه في الأول كان زمانه إنعدم في ميدان عام، وإذا كان نسي مهمته أفكره بيها تاني.

يتنفس من أعماقه بصعوبة ثم يكمل هجومه الكلامي قائلًا:

أبو هشيمة : اسمع يا مروان ما تعرفهوش إن إحنا عرفنا حاجة، وحاتلي الكلب ده بأقصى سرعة، وماتنساش إني مسافر بعد أربع ساعات من دلوقتي، عايز أعرف إيه إللي جرالـه، وليه عمل كده؟ مع إنه طول عمره ملتزم بإللي بأقوله عليه وبينفذه بالحرف الواحد زي ما أنا عايزه؟!

يتمشى بالحديقة بثقل فيطأ الأرض بصعوبة صارخًا فيمن يحدثه..

أبو هشيمة : يعني إيه ما تلحقش تجيبه؟! يعني مش موجود؟ اتصرف يا حيوان اخلقهولي من تحت الأرض، خد الرجالة كلها وابحثوا عنه في كل مكان، عايز أعرف عمل كده ليه؟ عايز أعرف باعني لحساب مين؟ عايز أعرف هو فين دلوقتي؟ ومع مين؟ اتحرك بالرجالة يا مروان مفيش وقت!! الولد ده يعرف عننا حاجات كتير. فلازم نلحق نرجعه لحضننا تاني أو نخلص عليه. لازم لازم، لازم وبأقصى سرعة.

يختتم عصبيته ملقيًا بهيكله الضخم على كرسي هزاز وسط أشجار المانجو المثمرة ووجهه العابس لحمام السباحة الفسيح ثم مشعلًا سيجارًا بكل غيظ ويحدث نفسه في سره قائلًا:

أبو هشيمة : والله اتفرعنت يا أبو الرجال وبقيت بتاخد قرارات من نفسك نسيت أنت كنت فين وبقيت فين؟ نسيت أنا عملت عشانك إيه؟ نسيت مين اللي وقف معاك وأنقذك من حبل المشنقة؟ نسيت مين إللي بلغ عنك جهاز المخابرات بتاعنا إنك جاسوس لحساب أمريكا وقدم لهم المستندات اللازمة لإدانتك وكنت حاتروح في شربة ميه؟

ينفث أدخنة كثيفة من تحت شاربه الغليظ وهو ما يزال يتأرجح بالكرسي ثم يكمل حديثه لنفسه كالسكران غاب وعيه قائلًا:

أبو هشيمة : قدرنا نبدلك المستندات بمستندات مزورة ووقفنا معاك كبار المحامين لحد ما خرجناك منها زي الشعرة من العجين ، ومن ساعتها وبقيت أهم واحد في رجالتي. أي نعم احنا استفدنا منك كتير، بسبب وضعك بره ومكانتك الشعبية عند زعماء المقاومة في جميع البلدان العربية، والفضل يرجعلك في كل الأسلحة اللي دخلت مخازني، وفي نسف كل الناس الوحشة إللي دايمًا بتقف في وشي، بس ده مايدكش الحق إنك تشرد بعيد عني أو تخالف ولو مرة أمري.

يأتيه الصوت من خلفه؛ ليخرجه من شروده كنسمة هواء تلطفه..

دولت : أنا طالعة فوق يا أبو هشيمة حاوضب الشنط مع أشرقت. باي

لكنه لم يهتم بما يسمع والتزم الصمت وعاد يحدث نفسه لائمًا لها ويقول بحسرة :

أبو هشيمة : الغلطة مش غلطته، الغلطة غلطتي أنا، أنا إللي ما خدتش بالي إنه عمال يكبر يوم ورا يوم وإن مكانته بتزداد وشعبيته بتكبر يوم بعد يوم في البلاد العربية وخاصة الأراضي

المحتلة في البلدان المحتلة بيعتبروه خليفة (أسامة بن لادن) وحطين أملهم فيه إنه يخلصهم من الاحتلال ويكسر شوكة المحتل الغاصب، وكل شعوب المقاومة عاملين له تمثال وبيطوفوا حوله وبيسمعوا كلامه وهمه مغمضين؛ لأنه دايمًا بيمد المقاومات دي بالسلاح وبالمواد المتفجرة، وبيعرض حياته للخطر علشان غيره، ومن غير أي مصلحة علشان كده شعوب كتيرة بتدين له بالولاء، سلكلهم صفقة سلاح من تحت لتحت يقاوموا بها الأعداء، خلصهم من عدو لدود بيتحكم فيهم. خطفلهم طيارة عدوهم، فجرلهم سفارة أو مطار، علشان كده بقا ليه شعبية عربية وعالمية علشان كده الغلطة مش غلطته، الغلطة غلطتي أنا، كان لازم أتخلص منه قبل كده بكتير.

يهب واقفًا، متجردًا من ثيابه ونظارته ذات السلاسل الفضية؛ ليلقي بنفسه في حمام السباحة كالحوت محدثًا اضطرابًا هائلًا في المياه.

يلوح في الأفق خلف أسوار الفيلا الشاهقة جبل المقطم كشاهد على الأحداث.

وتبدو الفيلا في حضنه من ثلاثة طوابق عالية وتحمل أسوارها العالية كاميرات مراقبة والحرس منتشرون من حولها بكل دقة ونظام وحديقتها شطران ينتصفهما طريق أسفلتي خلالها ممهد للسيارات يمتد بطوله من البوابة الأمامية للفيلا إلى المدخل

الداخلي الذي بدايته تراس واسع من الجرانيت يحتوي هذا التراس الواسع على أسدين مرعبين، فأسد عن اليمين وأسد عن الشمال، وكل أسد في قفصه يزأر وهذا التراس الواسع يؤدي إلى سلالم الفيلا المزركشة بأجود أنواع الموكيت التي تصل من خلالها إلى الطوابق العليا من الفيلا.

بكل أمان يخرج الرجل من حمام السباحة يتقاطر ماء فيجد في انتظاره أربعة من الفتيات الرشيقات متعددات الجنسيات، يتسابقن في تجفيفه معبرة كل واحدة منهن عن سعادتها بلغتها، ثم يعبرن به بعض الدرجات الرخامية أسفل الحمام حيث واحة خضراء ممهدة لعمل المساج؛ ليفترش على بطنه كالخرتيت متنهدًا فيتناولنه بأيديهن الناعمة يدلكنه وهن ضاحكات مازحات، لاعبات، يتأوه الرجل بكل مرارة متوعدًا بصوت مملوء بالحسرة والندامة.

أبو هشيمة : آه!! كان لازم أتخلص منه قبل كده بكتير، آه مكانش لازم أسيبه يكبر، مكنش لازم يكبر، آه.

*****

الفصل السادس

(١) حجرة إبراهيم بمنطقة المقابر

إبراهيم معصوب الجبهة يغط في النوم غطًا متخذًا من أفخذة أشجان المكتظة وسادة ناعمة وهي تحتويه في حجرها بكل حب ورضا مسرورة، فتداعب بأناملها شعر صدره الغزير معجبة به وتتساءل في نفسها في لحظات شرود لعقلها قائلة تحدث نفسها في سرها بصوت مهموم.

أشجان :

يا ترى حاتعمل معانا إيه يا أبو هشيمة؟ يا ترى حاتعمل إيه؟ لما تعرف إن إبراهيم مسافرش تركيا ورجع هو والناس اللي معاه وضيع عليك صفقة بملايين الدولارات ودي أول مرة يخالفلك فيها أمر، ليه؟ ليه كده يا أبو الرجال؟ هو إحنا قد أبو هشيمة ورجالته هو ده حد يقدر يخالفله أمر! ليه؟ ليه كده يا أبو الرجال؟ ليه تشيل الضليلة اللي مضللة علينا وتسيبنا للشمس تحرقنا؟ ده احنا طول عمرنا عايشين من خير الراجل ده وعايشين في حمايته، والشهادة لله الراجل ده ماقصرش معانا في حاجة، أنقذ حياتنا، وشغلنا عنده وحمانا من الضياع ليه؟ ليه كده يا أبو الرجال؟ ليه تعرضنا معاك للخطر من تاني ليه؟ ليه

تزعل الراجل الكبير منك ليه؟ هو احنا قدهم، والا قد رجالتهم، دول حيتان كبيرة وماحدش يقدر يقف قصادهم ليه؟ ليه كده يا أبو الرجال؟ ليه تعرضنا معاك للخطر من تاني ليه؟!

(٢) مدينة السادس من أكتوبر

(مشروع سكني في صحراء المدينة ينهار ككتلة واحدة، كأن زلزالًا شديدًا أصابه في مقتل فانقض بأكمله، خارًا على ساكنيه) ..

عشرة أبراج سكنية تتساقط بقاطنيها مرة واحدة، فتندك الأرض دكًا دكًا لها – مئات من البشر ضحايا تحت الأنقاض كعصف مأكول..

المسعفون يبذلون كل جهدهم لنقل الجثث والأشلاء بواسطة عدة حفارات ولودرات تعمل بشكل مستمر.

سيارات الإسعاف المتعددة تذهب صارخة واحدة تلو الأخرى محملة بجثث الموتى.

سيارات الشرطة والجيش تأتي معًا، يشكل المجندون كردونًا حول المكان كله في سرعة ودقة ونظام.

قنوات فضائية محلية وأجنبية تطوف بكاميراتها القطاع من كل اتجاه؛ لتسجل المشهد بكل تفاصيله بالصوت والصورة، وعلى مقربة من هذا الدمار والخراب، حيث ناصية القطاع تبدو أشجان منهارة بشدة داخل سيارتها الفارهة تبكي وتنخرط في

البكاء وتنوح نواح المستغيث، تتقاطر حزنًا كشمعة تحترق، تلطم الخدود تارة وتمزق شعرها بيدها تارة أخرى، ثم ترتطم برأسها على عجلة القيادة تئن أنينًا.

سيارة مرسيدس بسائق محترف تنحدر من فوق تبة عالية؛ لتهبط بكل هدوء متوقفة في توازٍ مع سيارة أشجان على بعد متر واحد بين السيارتين ينزل السائق بكل خفة ورشاقة واتزان؛ ليفتح باب السيارة في أدب جم قائلًا:

السائق: سعادة الباشا أبو هشيمة نورت المكان الخربان. اتفضل يا لورد.

فيهبط الرجل من السيارة بشيء من الصعوبة لبدانته منفجرًا في الضحك ويقول:

أبو هشيمة : الله يحظك يا سعداوي ضحكتني وأنا مليش نفس، اوعى كده خليني أكلمها كلمتين يمكن تعقل، آهو يبقا عملنا اللي علينا وآهو كله بثوابه اوعى.. ثم ينحني كالراكع يكبشها كبشًا بأصابعه الغليظة من فروة رأسها المنكوشة فيرفع لها وجها غارقًا في الدموع ثم ينفتح عليها كالنار في الهشيم باصقًا في وجهها بكل ثورة

أبو هشيمة : اللي زيك أنتي آخرها تدير شقة للدعارة أو تنام ملط على ترابيزة قمار زي أمها ما كانت بتعمل، إنما تنافسني في شغل المقاولات، وتاخدي مني الأرض اللي قعدت سنين أخطط

علشان أخدها، أخدتيها أنتي مني بليلة حمرة من لياليك مع صاحبها وبسعر أقل من اللي كنت عارضه عليه!!

يعتدل في وقفته بإعياء، يتنفس الصعداء بجهد، ويصيح قائلًا بصوت مرعب:

أبو هشيمة : وآدي المشروع بقى كوم تراب !!!!!.

تغرق في دموعها غرقًا، دافنة بكل ذل وجهها بين أذرعها فوق عجلة القيادة وتقول بصوتها الباكي متقطع الأحبال:

أشجان : حرام عليك يا ظالم خربت بيتي ووديتني في داهية.

ينحني إليها كالراكع يمسكها من كتفها ويهزها هزًا قائلًا:

أبو هشيمة : ماحدش قالك تيجي تبيعي الميه في حارة السقايين يا بنت وداد الغازية. وجهزي نفسك يا روح أمك حبل المشنقة مستنيكي، علشان تعرفي كويس أنا مين؟

يقف بقامة متوسطة وجسم ممتلئ بكرش يتدلى؛ ليواصل كلامه قائلًا:

أبو هشيمة : النائب العام أصدر قرار بضبطك وإحضارك ومصادرة جميع ممتلكاتك، وده غير حبل المشنقة اللي مستنيكي...! حابعتلك المحامي بتاعي حايفهمك حاتعملي إيه؟ ولازم تسمعي كلامه وبسرعة، أظن ماعدش فيه وقت! كلها ساعات والعربية اللي أنتي راكباها دي حاتبقي ملك الدولة ولو

اتقبض عليك قبل ما المحامي يوصلك مفيش مشكلة خالص حايروحلك مكانك وحاتخلصي معاه اللي أنا عاوزه منك. فاهمة؟؟؟

يشير للسائق فيفتح له باب السيارة، فيفترش على أريكتها متنهدًا ويكمل

أبو هشيمة : ده إذا كنتي باقية على نفسك وعوزانا نخرجك من الورطة دي وتنقذي نفسك وبقيت أملاكك.. اطلع يا سعداوي.....

تنطلق المرسيدس كالرصاصة. ترفع أشجان رأسها ثم تنكسه منخرطة في البكاء، وصدى صوت الرجل كطنين نحل في أذنيها.

صدى صوت أبو هشيمة: النائب العام أصدر قرار بضبطك وإحضارك ومصادرة جميع ممتلكاتك وده غير حبل المشنقة اللي مستنيكي.

تعتدل جالسة؛ لتجعل أصابعها في آذانها في محاولة هروب مما يطن فيهما من دون فائدة لأن صدى الصوت كالنحل من حولها.

صدى صوت أبو هشيمة: النائب العام أصدر قرار بضبطك وإحضارك ومصادرة جميع ممتلكاتك وده غير حبل المشنقة اللي مستنيكي.

تصـــرخ بـــأعلى صـــوتها ثـــم تنطلـــق بســـيارتها في سرعـــة جنونيـــة إلى تبة عالية..

(٣) حجرة إبراهيم بمنطقة المقابر

أشجان تجفف دموعها الغزيرة براحة يدها بكل بساطة قائلة:

أشـــجان : ليـــك يـــوم يـــا ظـــالم آه!! ثـــم تحمـــل إبـــراهيم النـــائم عـــلى فخـــذها مـــن تحـــت إبطيـــه؛ لتوســـده وســـادة الســـرير بهـــدوء ولطـــف خشـــية إيقاظـــه ثـــم تنحـــني بكـــل ثقلهـــا عـــلى جبهتـــه المعصـــوبة طابعـــة قبلة عليها قائلة:

أشـــجان: أنـــت راخـــر ضـــحية زيي يـــا إبـــراهيم ضـــحية ظـــالم مفـــتري. اتنزعت من قلبه الرحمة.

ثـــم تـــنهض واقفـــة بغصـــنها الملفـــوف، فتخطـــو خطـــوات متئـــدة بســـيقان الغـــزلان؛ لتحـــدث نفســـها فيحوطهـــا النـــدم ويمتلكهـــا قائلـــة بندم وحسرة:

أشـــجان : يـــاريتني مـــا وافقـــت عـــلى الـــلي طلبـــه مـــني، يـــاريتني كنـــت مـــت قبل ما أشوف وشه يا ريت اللي جرى ما كان، آه!!

(٤) داخل حجرة مكتب مأمور قسم شرطة

أشـــجان منهـــارة كـــل الانهيـــار بـــين يـــدي رجـــل وجيـــه في حجـــرة مكتـــب مـــأمور القســـم كشـــعلة مـــن الجحـــيم تـــزداد ســـعيرًا وتوهجًـــا

يطوف فيها الرجل من حولها بكل مكر الثعالب بينما هي دافنة وجهها بين يديها باكية ثم يربت على كتفها قائلًا بأسلوب آمر.

الرجل الوجيه : اسمعي كلامي يا أشجان هانم الوقت مش في صالحك. بكرة الصبح هيعرضوكي على النيابة واللي نقدر نعمله هنا مش حانقدر نعمله هناك، وقعي على العقود اللي قدامك دي وسيبي الباقي علينا. ياللا.

ينحني بقامته المتوسطة على أذنيها هامسًا لها بكل شماتة وغرور:

الرجل الوجيه : اسمعي كلامي ده أنا أكبر محامي في البلد.. دي فيها حبل مشنقة!! شوفي كام أسرة ماتت تحت الأنقاض؟ لأنك خالفتي تراخيص البناء، ده غير الأسمنت المضروب اللي بنيتي بيه المشروع، وغيره، وغيره.

ترمقه بنظرات قاتلة مندهشة وبعيون دامعة كالمتسائلة. فيجيب على أسئلة عيونها قائلًا وهو يعتدل واقفًا يشد رابطة عنقه قليلًا ثم مواصلًا وهو يدور حولها:

الرجل الوجيه : يا هائم لازم تعرفي إنك دخلتي عش الدبابير برجليك ومشيتي في سكة مش بتاعتك، ولعبتي على أرض مش أرضك، وعملتي راسك براس قامة كبيرة من قامات البلد، اقتصاد البلد كلها في إيده. وآدي نتيجة راسك الناشفة!! مشروعك بقى كوم تراب ملوث بدم الأبرياء وحياتك أصبحت في خطر والباشا

ماحـــدش يجـــرؤ يجيـــب اســـمه ولـــو بالصـــدفة في موضـــوعك ده بالذات لأننا والحمد الله مظبطين كل حاجة.

ينحني إليها راكعًا ثم هامسًا في أذنها بصوت مسموع:

الرجـــل الوجيـــه : تـــراخيص البنـــاء الخاصـــة بمشـــروعك الســـكني تـــراخيص مـــزورة، رجالتنـــا قـــاموا بالواجـــب وزيـــادة أخـــدوا التراخـــيص الســـليمة ووضـــعولك تـــراخيص مضـــروبة فيهـــا زيـــادة في عـــدد أدوار كـــل بـــرج بســـت أدوار زيـــادة وطبعًـــا ده غـــير شـــهادات الإشراف الهنـــدسي الـــلي برضـــه مـــزورة والـــلي فيهـــا إن الأرض صـــالحة لأبـــراج واحـــد وعشـــرين دور وهي في الحقيقـــة مـــا تـــتحملش أكـــتر مـــن خمســـتاشر دور، ده كلـــه كـــوم وأســـمنت المشـــروع المضـــروب كـــوم تـــاني، إزاي ضرينـــاه وهـــو ســـليم داخـــل مخازنـــك دي شـــغلتنا ولازم تعـــرفي إن مجموعـــة المهندســـين المنفـــذين لمشـــروعك دول رجالتنـــا وإحنـــا الـــلي كنـــا باعتينهملـــك ونفـــذوا بجـــدارة كـــل الـــلي طلبنـــاه مـــنهم وأنـــا كنـــت وراهـــم مخلتكـــيش تمســـكي علـــيهم توقيـــع أو إمضـــاء حـــتى عقـــود العمـــل الـــلي كانـــت بينـــك وبـــين شركـــتهم قـــدرنا نبـــدلها بعقـــود مـــزورة غيرنـــا فيهـــا أســـماءهم بأســـماء تانيـــة وهميـــة وبأرقـــام نقابـــة غـــير حقيقيـــة، ده غـــير كمـــان همـــه دلـــوقتي خـــارج حـــدود مصـــر، وبيحملـــوا جنسيات أجنبية لدول مختلفة.

يعتـــدل واقفًـــا بقامـــة متوســـطة يجفـــف جبينـــه بمنـــديل في يـــده ثـــم يربت على ظهرها مواصلًا:

الرجل الوجيه : لآخر مرة حاقولك الفرصة لسه قدامك وقعي على العقود اللي قدامك دي وبدون تفكير، دي عقود بيع بتواريخ قديمة شوية، فيها سيادتك بعتي أرض المشروع كلها للباشا بتاعنا من خمس سنين فاتت، وإنك كنتي مجرد واجهة إعلامية للمشروع لا أكتر ولا أقل.

يجلس في مواجهتها متنهدًا فاكًا بأنامله الغليظة زرار جاكتته ثم يواصل قائلًا:

الرجل الوجيه : ماكونتش عارف إني حاخد معاكي الوقت ده كله!! وماكونتش عارف إن مهمتي غاية في الصعوبة !!!

تعتدل في جلستها؛ لتجفف عينيها من الدموع قائلة:

أشجان : عايزني أتنازل عن أرض باتنين مليار جنيه يا أستاذ مجدي ؟!!!!

يميل إليها برأسه قائلًا بكل لطف ومراوغة:

مجدي : يا هانم صدقيني الناس دول مانتش قدهم وبعدين حاتفيد في إيه المليارات بعد الواحد ما ينعدم ويروح في شربة ميه؟ حكمي عقلك.

يمسك بالقلم الموضوع فوق الأوراق ثم يفتحه قائلًا بود ولطف ومراوغة:

مجـــدي : امضـــي يـــا أشـــجان هـــانم علشـــان ألحـــق أســـجل العقـــود وألحـــق أخرجـــك مـــن سرايـــا النيابـــة ونشـــوف حـــد مـــن رجالتنـــا يشـــيل القضـــية عـــن الباشـــا امضيـــي يـــا هـــانم وانقـــذي نفســـك واحـــمي بقيـــة أملاكك، ياللا يا هانم مفيش وقت !!!

تمســـك القلـــم بيـــد مرتعشـــة نـــاظرة إليـــه كالمتوســـلة صـــامتة فيهـــز لها رأسه؛ ليطمئنها.

مجـــدي : أقســـملك بشـــرفي يـــا هـــانم إننـــا كـــده بنخـــدمك، وبعقـــود البيـــع دي الـــلي مـــن خمـــس ســـنين أصـــبحت الأرض أرضـــنا والمشـــروع بقـــا مشـــروعنا وســـيبينا إحنـــا بقـــا مننـــا للقضـــاء نخـــبط في بعـــض براحتنـــا أنـــتي أفلـــتي بنفســـك، والوظيفـــة الـــلي حاتشـــاوري عليهـــا في شركـــات الباشـــا حاتشـــتغليها بالمرتـــب الـــلي حاتحدديـــه اســـمعي كـــلامي مفيش وقت.

تـــنكفئ عـــلى الأوراق؛ لتوقعهـــا كمـــن تـــزيح ثقـــلًا مـــن عـــلى كاهلهـــا وهي تبكي وتقول مرتبكة:

أشجان : حسبي الله ونعم الوكيل.

يلتقط الأوراق منها متعجلًا ثم يقف منتصرًا قائلًا بشموخ:

مجـــدي : بكـــده يـــا هـــانم أنـــتي اشـــتريتي نفســـك. ونصـــيحة مـــني تحطيهـــا حلقـــة في ودنـــك بـــلاش تلعـــبي مـــع الكبـــار مـــرة ثانيـــة!! لأن اللعـــب معـــاهم عواقبـــه بتبقـــا وخيمـــة، وخيمـــة أوي، نتقابـــل في النيابة بكرة.

تدفن وجهها بين يديها باكية، يضع الأوراق بحقيبته ثم يخرج مهرولًا؛ ليتقابل مع المأمور عند مدخل المكتب عندما يفتحه قائلًا:

مجدي : متشكرين جدًا يا سيادة العقيد أشرف، الباشا بتاعنا بيسلم عليك كتير.

يتصافحان بكل حرارة ويرد عليه مأمور القسم قائلًا بكل أدب وخجل:

العقيد أشرف: العفو يا أفندم، ده أقل واجب.

يختفي مجدي المحامي ويدخل المأمور؛ ليعتلي عرش مكتبه اللائق به ثم يضغط على زر الجرس وينادي بصوت مرعب: أشرف: يا عسكري يا عسكري.

يقتحم العسكري المكان مؤديًا التحية العسكرية لقائده العسكري: تحت أمرك يا باشا – أؤمر.

فيشير إليه بمقدمة ذقنه قائلًا بنبرة حادة وعصبية:

أشرف : خدها رجعها لغرفة الحجز بسرعة وخلي بالك منها لغاية بكرة الصبح لحد ما نعرضها على النيابة. خلينا نرتاح منها.

يجذبها العسكري جذبًا بكل قوة وجهل قائلًا:

العسكري : قومي يا بت معايا فزي على حيلك.

يهز المأمور رأسه بكل رضا معجبًا بأسلوب العسكري ويوصيه قائلًا:

أشرف : خلي بالك منها يا درويش وبات على غرفة الحجز بنفسك فيه ناس كتير عاوزين ينهشوا لحمها، دي عليها تار لناس كتير.

يسوقها العسكري أمامه بكل وحشية قائلًا:

العسكري : قدامي يا بنت الرفضي قدامي.

(٥) حجرة إبراهيم بمنطقة المقابر

أشجان تبدو شاردة الذهن وهي جالسة ذليلة النفس على طرف السرير في مواجهة إبراهيم الغارق في النوم كالحمل الوديع، وتطوف بمخيلتها صورة مجدي المحامي على الجدار فوق السرير كأنها تراه رأي العين، كأنه أمامها. فتبدو صورة مجدي المحامي على الجدار فوق السرير وهو يلتقط منها الأوراق متعجلًا ثم يقف منتصرًا قائلًا لها بشموخ:

مجدي المحامي : بكده يا هانم أنتي اشتريتي نفسك ونصيحة مني تحطيها حلقة في ودنك بلاش تلعبي مع الكبار مرة ثانيه، لأن اللعب معاهم عواقبه بتبقي وخيمة، وخيمة أوي نتقابل في النيابة بكرة.

تنفجر ثورة بداخلها كالبركان فتصرخ صرخة مدوية قاذفة بتليفونها المحمول صورة مجدي المحامي الظاهرة أمامها على الجدار، فيقع التليفون على رأس إبراهيم المعصوب، فيستيقظ فزعًا خائفًا يترقب قائلًا بتوتر:

إبراهيم : إيه فيه إيه؟ مين؟ آه..

تحتضنه بكل حرارة قائلة:

أشجان : سلامتك يا حبيبي.

(٦) داخل سرايا النيابة

رئيس النيابة فوق عرش مكتبه كالصقر فوق قمة الجبل وعن يمينه كاتب محترف كالريح المرسلة وبين يديه تبدو أشجان جالسة في مواجهته كطائر مكسور الجناحين، ذليلة، صامتة، خافضة الطرف بينما يبدو مجدي المحامي متألقًا في دفاعه كأنه في مرافعة يقول بكل لباقة المحامين:

مجدي : لكل ما سبق بيانه من واقع المستندات الرسمية التي بين أيديكم وباعتراف الجاني الحقيقي المسجل اعترافه في أوراق القضية أمامكم، أطالبكم بالإفراج الفوري عن موكلتي السيدة أشجان خليل عويس، وبدون ضمان، وشكرًا يا أفندم.

ينظر رئيس النيابة بوسامة الشاب الناجح إلى كاتبه بكل نزاهة رجال القضاء آمرًا له قائلًا بصوت عذب:

رئيس النيابة : أمرنا نحن خالد سيف الدين رئيس النيابة بالإفراج عن السيدة/ أشجان خليل عويس من سراي النيابة وبدون ضمان، وذلك في ساعته وتاريخه، كما أمرنا في نفس الساعة والتاريخ بحبس المتهم/ مصطفى أحمد عبد المقصود خمسة عشر يومًا على ذمة التحقيقات، ويراعى له التجديد.

يضغط على زر الجرس فيدخل أحد العساكر فاتحًا الباب بكل هدوء وحرص وانضباط مؤديًا التحية الواجبة وهو يقول:

أحد العساكر : أمرك يا باشا.

فيشير إليه قائلًا في سرعة:

رئيس النيابة : خده على الحبس ومشي الصحفيين اللي بره، لسة الموضوع ما انتهاش، الموضوع لسة ما انتهاش.

يسرع العسكري مهرولًا ماسكًا المتهم من معصمه جاذبه إليه بكل قوة وغضب وهو يقول:

أحد العساكر: تحت أمرك يا باشا، قدامي يا متهم.

ينظر المتهم إلى مجدي المحامي نظرة عميقة وهو بين يدي العسكر و يقول :

مصطفى : البراءة ، البراءة يا أستاذ مجدي أنت وعدتني بالبراءة، وعدتني بالبراءة ماتسيبونيش لوحدي الموضوع كبير.

يغمز له المحامي بعينه ويعض له على شفتيه قائلًا له وهو يستعد للذهاب متعجلًا:

مجدي: اطمئن يا بشمهندس، الباشا بتاعنا ما بيسيبش رجالته، البراءة مضمونة إن شاء الله، إن شاء الله البراءة مضمونة.

يخرج العسكري بمصطفى غالقًا خلفه الباب بهدوء بينما يحمل المحامي حقيبته ممسكًا بأشجان؛ ليستأذن من رئيس النيابة قائلًا:

مجدي: بعد إذن سعادتك يا خالد بيه فيقف رئيس النيابة؛ ليصافحه بكل حرارة قائلًا بكل تواضع:

رئيس النيابة: مع السلامة يا أفندم سلملي على سيادة النائب وبلغه سلامي.

يخرج المحامي وفي يده أشجان وهو يودع رئيس النيابة قائلًا:

مجدي: يوصل إن شاء الله يا خالد بيه إن شاء الله حابلغ الباشا بتاعنا سلام سعادتك باي!!!

يخرج المحامي وفي يده أشجان هاربين. يجلس رئيس النيابة على مقعده في حيرة من أمره ويمسك بملف القضية التي أمامه ويقول بكل ريب بصوت مسموع:

رئيس النيابة: قضية غريبة جدًا، عندي إحساس داخلي إن اللي اسمه مصطفى ده ما هو إلا مجرد كبش فدا... كبش فدا وبس!!!

ضوضاء تأتي من الخارج فيرتفع لها صوته قائلًا باندفاع: رئيس النيابة: مشي الصحفيين اللي بره يا عسكري.

فيرد عليه العسكري من خلف الباب قائلًا:

أحد العساكر: مش راضيين يمشوا يا باشا.

(٧) حجرة إبراهيم بمنطقة المقابر

أشجان تتوسد حجر إبراهيم المتربع فوق السرير حاكية له:

أشجان: لما خرجت في إيد الأستاذ مجدي محامي أبو هشيمة ومستشاره الخاص، وبمجرد خروجنا من مكتب رئيس النيابة كانت المفاجأة اللي هو نفسه ماكانش متوقعها، وهي إن خبر الإفراج عني يتسرب وبالسرعة الرهيبة دي لجميع وكالات الأنباء والصحافة والجماعة بتوع حقوق الإنسان والكل كان متعطش إنه يشوف سيدة الأعمال اللي المدينة بتاعتها انهارت بالناس اللي فيها!....

وكانوا متعطشين أكتر أنهم يعرفوا إزاي أنا خرجت من الورطة دي بدون أي إدانة....؟ علشان كده خرجنا وبكل صعوبة من وسط الصحفيين وبتوع الإعلام ولولا إن الأستاذ مجدي هددهم بالاتصال بأبو هشيمة وحصانته البرلمانية ماكانش ممكن نخرج

أبـــدًا، ولمـــا خرجنـــا مـــن بـــاب النيابـــة لقينـــا النـــار قايـــدة في عربيـــة الأســـتاذ مجـــدي وكانـــت المصـــيبة الســـودة وكـــان يـــوم عمـــري مـــا حاشوف أسود منه في حياتي.... اللي حصل ساعتها.....

(٨) ميدان الجيزة

أشـــجان ومجـــدي المحـــامي يخرجـــان مـــن سراي النيابـــة مجهـــدين يتنفسان الصعداء بكل مشقة

أشجان ومجدي معا : أف أه، آه، آه.

يلـــتقط مجـــدي رابطـــة عنقـــه مـــن عقـــدتها يفكهـــا فكًـــا بأناملـــه الغليظة وهو في غاية الضيق، معبرًا عن سخطه قائلًا:

مجدي: دي حاجة تقرف، سابوا إيه بقا للجهلة وقطاع الطرق !

يتفاجـــآن بالجمـــاهير مـــن النـــاس مـــن أهـــالي الضـــحايا تحـــت الأنقـــاض في مظـــاهرة عظيمـــة تقطـــع الطريـــق قطعًـــا ويضـــيق بهـــا الميـــدان عـــلى ســـعته.. والنـــيران متأججـــة في ســـيارة فارهـــة أمـــامهم. فينـــدفع مجـــدي انـــدفاع الملهـــوف حيـــث الســـيارة المشـــتعلة مستغيثًا.

مجـــدي: عـــربيتي، حـــرام علـــيكم، دا أنـــا، دا أنـــا لســـه مغيرهـــا، أنـــا ملـــيش دعوة.

فتتبعـــه أشـــجان عـــلى أثـــره، تهـــرول خلفـــه كظلـــه، تلجمهـــا الصـــدمة إلجامًـــا، وبمجـــرد ابتعادهمـــا قلـــيلًا عـــن مبـــنى المحكمـــة مقـــر النيابـــة إذا

بالجماهير من الناس يرشقونهما رشقًا بالحجارة معبرين في ذلك عن غضبهم. يتلقيان الحجارة كالمطر صارخين.

(٩) حجرة إبراهيم بمنطقة المقابر

أشجان تجلس من رقود تطرقع رقبتها ثم تنهض واقفة وتقول:

أشجان: تشرب شاي معايا؟

يفترش إبراهيم على بطنه نائمًا ثم يحدقها بنظرات متلصصة قائلًا بكل رغبة وشوق

ابراهيم: أشرب معاكي شاي.....

تشعل شعلة البوتوجاز واضعة عليها البراد، ثم تستند على الجدار بظهرها تلملم شعرها للخلف قائلة:

أشجان: ساعتها الجيش جه وحمى المصالح الحكومية ولما عربية الإسعاف جات كان المحامي مات.. وأنا كنت رايحة في غيبوبة ما بين الحياة والموت.

*****

الفصل السابع

(١) ميدان الجيزة

الميـــدان في حالـــة كـــر وفـــر، قـــوات الجـــيش معســـكرة أمـــام المنشـــآت الحيويـــة تعســـكرًا، هتـــاف مـــن هنـــا وهتـــاف مـــن هنـــاك، فتتشابك الهتافات متعانقة لتحدث ضوضاء خارقة

هتاف (١) :

يـا جيشـنا يـا حمينـا.. هاتلنـا الحـق الـلي لينـا.. يـا جنـود قولـوا الحـق ولادنا ماتوا واللا لأ..

تبـدو أشـجان بجـوار مجـدي المحـامي في وسـط بركـة مـن الـدماء، يحدق بهما جنود من الجيش ورجال القضاء.

سـيارة إسـعاف نائحـة يهـبط منهـا المسـعفون كالملائكـة كـل قـد علـم مهمتـه، فمـنهم مـن يفـتح بـاب السـيارة؛ ليـنزل منهـا النقـالات في سرعـة وإتقـان، ومـنهم مـن يهـبط كـالفراش عـلى الجثتـين للاطـلاع ومعرفـة خطـورة الحـادث. جـرس تليفـون أحـد رجـال القضـاء الواقفين بجوار الحادث فيرد على التليفون والحزن يمزقه قائلًا:

أحـد وكـلاء النيابـة: يـا باشـا الأسـتاذ مجـدي تعـيش أنـت. وجـدناه مـدبوح برقبـة إزازة، أمـا السـت فلسـه فيهـا الـروح لكـن – حالتهـا خطـرة... لا... لا اطمـن يـا باشـا شـنطة الأسـتاذ مجـدي بكـل الـلي

فيهـــا وكـــل متعلقاتـــه في الحفـــظ والصـــون، لا... لا... لا يـــا باشـــا الشـــنطة وكـــل الـــلي فيهـــا حـــا تكـــون قـــدام حضـــرتك في ظـــرف ســـاعة واحـــدة مـــن دلـــوقتي، إزاي يـــا باشـــا إزاي؟ ده أقـــل واجـــب ممكـــن أقدمه ليكم، البقاء لله يا أفندم.. البقاء لله.

يغلـــق التليفـــون صـــارخًا فـــيمن حولـــه بكـــل تـــوتر وأعصـــاب مفككـــة: وســـعوا شـــوية للإســـعاف. وســـعوا شـــوية للنـــاس خلوهـــا تشـــوف شغلها.... ياللا يا جماعة.. مفيش وقت.

المســـعفون ينقلـــون كًـــلا مـــن أشـــجان ومجـــدي عـــلى نقـــالتين إلى داخـــل ســـيارة الإســـعاف ثـــم يغلقـــون بـــاب الســـيارة؛ لتنطلـــق بنواحهـــا كريح مرسلة صاعقة.

وما تزال الهتافات متشابكة ومتعانقة محدثة ضوضاء خارقة.

(٢) حجرة إبراهيم بمنطقة المقابر

تصـــب الشـــاي مـــن بـــراد في يـــدها لتعـــبئ بـــه كأســـين كبـــيرين وهي تقول:

أشـــجان: وراح المحـــامي في شربـــة ميـــه، وماكـــانش ليـــه ديـــة، حـــتى ســـيده الـــلي كـــان مشـــغله راح عـــزى فيـــه زيـــه زي الغريـــب، وجـــاب مـــن بعده بدل المحامي عشرة وآدي آخرة خدمته ليه؟

يتنـــاول كـــأس الشـــاي بيـــده ويـــده الأخـــرى تشـــعل ســـيجارًا مســـتوردًا بولاعة مذهبة ويقول:

إبـــراهيم: وعملـــتي إيـــه بعـــد كـــده؟ قصـــدي بعـــد مـــا خـــرجتي مـــن المستشـــفى؟ وإزاى بقيـــتي كـــده؟ وليـــه مـــا حـــاولتيش تقـــفي عـــلى رجلـك تـاني؟ ليـه مـثلًا مـا بـدأتيش بمشـروع صـغير وكـبرتي مـن خلالـه شوية شوية؟ ليه استسلمتي بسرعة؟

تقـــف وكـــأس الشـــاي في يـــدها؛ لـــتجلس عـــلى حافـــة الســـرير وهي تطيـــل نظـــرة إليـــه وهـــو جـــالس ممـــدد الســـاقين، مســـتندًا بظهـــره إلى الجدار يحتسي الشاي مع كثافة الدخان بفمه كالشبورة قائلة له:

أشـــجان: المصـــيبة إنـــك عـــارف عـــني كـــل حاجـــة - يـــا خســـارة يـــا إبـــراهيم بقيت طبق الأصل من رجالة معلمك كلك لوع وخداع....

فيبتسم بشارب رفيع أسفل أنفه المستقيم قائلًا بسعال:

إبـــراهيم: صـــدقيني حكايـــة تحولـــك دي أنـــا مـــا اعـــرف حاجـــة عنهـــا. ســـاعتها أنـــا كنـــت بـــره ولمـــا رجعـــت لقيـــت أشـــجان تانيـــة خـــالص، وفي وســـط ضـــغوط العمـــل وكـــثرة الأوامـــر الـــلي باخـــدها وحيـــاتي الـــلي كانـــت عـــلى كـــف عفريـــت نســـيت أســـأل حكايتـــك إيـــه بـــالظبط؟ إيـــه الـــلي غـــير أشـــجان بالطريقـــة دي؟ أشـــجان الســـت المـــودرن الشـــيك ســـيدة الأعمـــال المشـــهورة، الـــلي حاطـــة كبـــار البلـــد في جيبهـــا.. إيـــه الـــلي يخليها مجرد شغالة بلبس بلدي ولهجتها لهجة شوارع....

تجاوبـــه بلهجـــة المستســـلم وهي تحتســـي شربـــة شـــاي ومـــا تـــزال جالسة على حافة السرير:

أشـــجان: بعـــد الـــلي حصـــل في ميـــدان الجـــيزة، قعـــدت شـــهرين في المستشـــفى وبعـــدها خرجـــت منهـــا وأنـــا فاقـــدة الـــذاكرة اســـتلموني رجالـــة أبـــو هشـــيمة واحتفظـــوا بيـــه في عزبتـــه الـــلي في كفـــر الشـــيخ لأنـــه ســـاعتها كـــان محتـــاج تـــوقيعي عـــلى بعـــض الأوراق المهمـــة وفضـــلت في كفـــر الشـــيخ أكـــتر مـــن عشـــر ســـنين مجـــرد خدامـــة في دواره الـــلي هنـــاك ولمـــا اتأكـــد إن ملامـــحي اتغـــيرت ولهجـــتي اتبـــدلت وأنـــا مـــش أنـــا جـــابني هنا في الأودة دي.... قصاد القرافة دي وأنت عارف الباقي.

يلـــم ســـاقيه الممـــدودتين ثـــم يـــنزع ربـــاط جبهتـــه المصـــابة بكـــل هدوء قائلًا:

إبـــراهيم: للأســـف أنـــا عـــارف البـــاقي... أنـــتي يـــا أشـــجان ضـــحية أبـــو هشـــيمة ورجالتـــه، وأنـــا ضـــحية مـــن قبلـــك، ومجـــدي المحـــامي ضـــحية وكمـــان البشـــمهندس مصـــطفى الـــلي كـــان كـــل ذنبـــه إنـــه وافقـــه عـــلى كـــل الـــلي طلبـــه منـــه وفي النهايـــة ضـــحى بيـــه بكـــل خســـة وندالـــة ومـــاكنش ليه ديه.

(٣) قاعة المحكمة

قاعـــة المحكمـــة عـــلى ســـعتها تضـــيق بالنـــاس؛ لتكدســـهم، فهـــم متزاحمـــون يـــأتي صـــوت القـــاضي كالرعـــد؛ ليمســـك حركـــة النـــاس عـــن الزحام ويلجم ألسنتهم عن الكلام.

القاضي من فوق المنصة:

"حكمت المحكمة حضوريًا على المتهم/ مصطفى أحمد عبد المقصود بالأشغال الشاقة المؤبدة، وبدفع غرامة مالية قدرها مليون جنيه.. رفعت الجلسة"..

يبدو مصطفى ذلك المهندس المتحمل باعترافه تبعات المشروع السكني المنهار في قفص الاتهام يشتعل كشعلة في مهب الريح يتشبث بقضبان القفص صارخًا منفجرًا بلغم من الكلمات:

مصطفى: لا أنا مش حاروح في داهية لوحدي أنا عاوز أقابل النائب العام، لازم أقابل النائب العام. لازم. آه.. أنا مليش دعوة بحاجة. همه اللي ضربوا الأسمنت، همه اللي بدلوا تراخيص المشروع، همه المجرمين مش أنا!!..

يعتدل إبراهيم في جلسته بالقاعة متحدثًا في تليفونه بهمس:

إبراهيم: النقض اترفض واتحكم عليه بمؤبد وبيهدد بمقابلة النائب العام..

(٤) حجرة إبراهيم بمنطقة المقابر.

إبراهيم يلم ساقيه الممتدتين ثم يقف من جلوس بكل إعياء لينظر إلى صورة وجهه الشاحب بمرآة الجدار ثم يبصق باحتقار على صورته بالمرآة، قائلًا بكل حسرة وندامة.

إبراهيم: أنا مش بني آدم... أنا حيوان مفترس.

فتعتدل جالسة من رقود... قائلة بكل استسلام:

أشـــجان: كفايـــة كـــده يـــا إبـــراهيم، الـــذنب مـــش ذنبـــك لوحـــدك.. الذنب ذنب السفاح اللي مشغلك.

فيستدير إليها عابسًا بوجهه، ويشطاط غضبًا ويقول:

إبـــراهيم: لا، لا، لا يـــا أشـــجان لا! الـــذنب كلـــه ذنـــبي لوحـــدي. ماكـــانش لازم أبيع نفسي للشيطان، كان لازم أقوله لا، لا وألف لا..

يهـــبط جاثيًـــا عـــلى ركبتيـــه دافنًـــا وجهـــه بـــين كفيـــه منفجـــرًا في البكـــاء كطفل ماتت أمه.

(٥) طريق طره – الصحراوي

ســـيارتان لـــوري تقطعـــان الطريـــق عرضـــيًا أمـــام ســـيارة تـــرحيلات المســـاجين وهي في طريقهـــا إلى ســـجن طـــره ، بكـــل دقـــة وسرعـــة ونظام ..

يقفـــز إبـــراهيم كقـــرد محـــترف في صـــحبة آخـــرين مـــن أعـــلى الســـيارتين كقطـــع مـــن الصـــخر تـــدك الأرض. ثـــم يفتحـــون نـــيران مـــدافعهم الرشاشـــة فتحًـــا عـــلى ســـيارة الترحـــيلات، وســـيارة الشـــرطة التي في إثرها فيرشقون الرصاص رشقًا عشوائيًا بكل غزارة....

فيـــتراكم الرصـــاص تراكمًـــا داخـــل كابينـــة ســـيارة الترحـــيلات فتنســـال الـــدماء عـــلى إثرهـــا كنهـــر جـــار منحـــدر؛ لترتـــوي منـــه رمـــال الصـــحراء الملتهبـــة كمـــا ينســـف الرصـــاص كـــل أفـــراد الشـــرطة بالســـيارة التابعـــة

لسيارة الترحيلات، فيتساقطون كالجراد... يطير إبراهيم في الهواء ناسفًا برشاشه قفل سيارة الترحيلات فيتهشم ثم يفتح الترباس الحديدي بما لديه من عزيمة فيندفع إليه مصطفى من بين المساجين كاندفاع الطفل إلى أمه فرحًا، يطير كالحمامة من فرط سعادته ثم يقول وهو منشق من بين المساجين مهرولًا إليه وبصوت ما بين الضاحك والباكي:

مصطفى: أبو الرجال أنا كان قلبي حاسس إنكم مش حاتتخلو عني... كان قلبي...

لكن إبراهيم يفتح عليه النيران فتحًا فيرتد قتيلًا في الحال غارقًا في دمائه قائلًا له:

إبراهيم: المرة دي قلبك مش دليلك يا درش.

(٦) حجرة إبراهيم بمنطقة المقابر

إبراهيم ينفجر في البكاء بين أحضان أشجان الدافئة وهو يقول:

إبراهيم: يا ريتني أموت وأخلص من عذاب الضمير، عاوز ارتاح.

تضمه بكل حنان على صدرها وهما جالسين على الأرض وتقول:

أشـــجان: مفـــيش راحـــة لينـــا أبـــدًا طـــول مـــا إحنـــا عايشـــين، إلا بقطـــع راس الأفـــعى الـــلي عمالـــه تـــبخ ســـمها فينـــا كـــل شـــوية.. اقتلـــه يـــا إبراهيم!! انتقم ليه وليك يا أبو الرجال.

يكـــف إبـــراهيم عـــن البكـــاء منخلعًـــا بعنقـــه عـــن أحضـــانها، معتـــدلًا بظهره إلى الجدار ويقول:

إبراهيم: لو قتلته زي ما بتقولي الأمريكان حايخلصوا عليا.

يقـــف بســـاقين مرتعـــدتين قـــائلًا وهـــو ينظـــر إلى وجهـــه البـــاكي في مرآة الجدار كمن يحدث نفسه.

إبـــراهيم: الانتقـــام مـــن (أبـــو هشـــيمة) مـــايكونش بقتلـــه، لأ، يكـــون بإفســـاد العلاقـــة الـــلي بينـــه وبـــين المافيـــا بتاعـــة أمريكـــا، ســـاعتها الأمريكـــان حاينهشـــوا لحمـــه هـــو وكـــل الـــلي ليـــه في مصرـــ زي الكـــلاب السعرانة.

(٧) فيلا أبي هشيمة بالمقطم

أبـــو هشـــيمة ذلـــك الرجـــل الـــثري وســـط حشـــد كبـــير مـــن رجالـــه في حديقة الفيلا

أمـــام حمـــام الســـباحة يلاطـــف كلبًـــا بـــين يديـــه مـــن كـــلاب الحراســـة، والرجـــال أمامـــه وقـــوف في انضـــباط يحـــدقهم بنظـــرة قاتلـــة، ثـــم يصيح فيهم قائلًا بلهجة عنف ولوم وعتاب:

أبـو هشـيمة : جـرى إيـه يـا شـوية حـوش؟! يـا شـوية رعـاع؟ يـا حثالـة المجتمـع؟ أغيـب أسـبوع عـن البلـد ألاقي الـدنيا خربانـة. مجموعـة الأوامـر الـلي أمـرت بيهـا قبـل سـفري لشـرم الشـيخ مـا اتنفـذتش، وأنـا لا يمكـن حاعـدي الإهمـال ده بالسـاهل فـاهمين؟ لا يمكـن حاعديـه بالساهل...

فاهم يا زفت يا اللي اسمك مروان؟

فينـدفع رجـل مـن عـلى ميمنتـه وسـيم المنظـر متفـرع في طولـه منسق في هندامه تظهر عليه علامات الوجاهة قائلًا:

مـروان: أوامـر معاليـك مجابـة وكـل حاجـة كانـت حاتتنفـذ زي مـا أمرت بالظبط.

ينحـني بطولـه فيتقـوس ظهـره وهـو يمـد بجهـازه الـلاب تـوب إليـه متوددًا.

مـروان: لكـن في آخـر لحظـة جـاني الإيميـل ده فاضـطريت أوقـف كـل حاجة.

(٨)حجرة إبراهيم بمنطقة المقابر

إبـراهيم يتوسـد حجـر أشـجان الـدافئ مسـتغرقًا في نـوم عميـق فـوق سريرهمـا وهي متربعـة بسـاقيها تحتويـه بحنـان مداعبـة بأناملهـا شـعر صـدره الغزيـر واضـعة خـدها المكـتظ عـلى يـدها الأخرى وهامسة في سرها بصوت مهموم..

أشجان: يا ترى أخرة طريقنا معاك إيه يا أبو هشيمة؟ ولإمته حا نفضل عايشين معاك في الذل ده؟! يا سلام يا إبراهيم لو تسمع كلامي ونهد المعبد على اللي فيه!!

عواء الذئاب ونباح الكلاب يترامى صداه إلى النافذة من الخارج فتضطرب المرأة اضطرابًا شديدًا كموج البحر، لا تكاد تتحكم في أعصابها، ثم تندفع بكل خوف وترقب لإيقاظ إبراهيم..

أشجان: إبراهيم يا سي إبراهيم اصحا يا إبراهيم قوم بسرعة يا أبو الرجال.

فيستيقظ إبراهيم كأنه لم ينم قافزًا في سرعة البرق؛ ليخطف سلاحه الآلي المعلق بالجدار قائلًا:

إبراهيم: إيه يا بت فيه إيه؟ فيه إيه؟ تشير بسبابتها إلى النافذة المغلقة وهي تتدثر بالغطاء وترتجف كالمحتضرة وتقول:

أشجان: فيه حد جاي.

(٩)فيلا أبي هشيمة بالمقطم

أبو هشيمة ينهي قراءته للإيميل من على صفحة اللاب الخاص بمروان مدير أعماله فيشطاط غضبًا على غضب ويغلي كالقدر على النار ضاربًا اللاب بظهر راحته من يد مروان بكل طاقة دفع لديه فيطير كالمروحة فوق سطح ماء الحمام سابًا له وقاذفًا بسيل من السباب:

أبـو هشـيمة: ينعـل أبـوكم عـلى أبـو لنـدا عـلى أبـو الـلي جـاب أمريكـا.. هـو أنتـوا شـغالين عنـدي ولا عنـدها يـا أولاد الكلـب؟!!! واحـد باعتـه يخلـص صـفقة سـلاح مـن تركيـا قـوم عـاود مـن السـكة لمـا الهـانم اتصـلت بيـه وأمرتـه إن يهـرب إخـواني خطـير مـن سـجن طـره علشـان ليهـا مصـلحة معـاه، فرجـع الشـملول مـن نـص السـكة وأخـد عصـابته معـاه، وهجمـوا عـلى السـجن قبـل الفجـر وهربـوا العميـل بتـاع أمريكـا، وقتلـوا علشـانه تمانيـة وعشـرين مـن أفـراد الأمـن، وفضـلت الشـرطة تطـارده وتطـارده لحـد مـا أتمسـك في مـدخل المعـادي وعشـان يهـرب مـنهم فجـر الكمـين وراح ضـحيته أكـتر مـن متـين إنسـان بـريء وكلـه ده مـن ورا ضـهري.. وكـل ده علشـان خـاطر بتـوع أمريكـا، وأنـا كـأني مـش موجـود ملـيش أي اعتبـار، لغـوني مـن حيـاتهم بمجـرد مـا لنـدا هـانم مـا اسـتخدمتهم، أيـوه اسـتخدمتهم وبمـزاجي بـس الـلي مـاكونتش متوقعـه إنهـم يخطـوا خطـوة واحـدة مـن غـير إذني.. أنـا أبـو هشـيمة.. اللـورد.. الـلي بحـرك مصـر كلهـا بصـباع رجـلي الصغير...

والتـاني وصـيته وأكـدت عليـه إن أول مـا ارجـع مـن شرم تكـون مجهـزلي راس إبـراهيم أبـو الرجـال علشـان نقفـل الصـفحة السـودة بتاعتـه دي ويـبقى عـبرة لأي حـد زيـه يحـاول الخـروج عـن طـوعي. ورغـم وصـيتي ليـه جـاي يقـولي إنـه كـان حاينفـذ لـولا إنـه جالـه إيميـل مـن لنـدا بتـأمره فيـه إنـه يبعتلهـا إبـراهيم ينفـذلها كـام عمليـة اغتيـال في العـراق، أنـا عـاوز أعـرف يـا أولاد الكلـب أنتـوا بتشـتغلوا مـع مـين؟!

معايا أنا أبو هشيمة اللورد اللي البيت الأبيض نفسه بياخد رأيه في بعض خصوصياته ولا مع لندا اللي بإشارة صغيرة مني أخرجها بره اللعبة كلها ومن غير ما تطول أي حاجة، وهيه عارفة كده كويس وعارفة أنا إيه في أمريكا.

يقاطعه مروان محاولًا الخروج من هذا المأزق قائلًا:

مروان: يا باشا إحنا خدامين سعادتك بس حضرتك نبهت علينا أكتر من مرة إننا نكون رهن إشارة مس لندا، وإن المصلحة واحدة، وإننا ننفذلها أي أمر من غير الرجوع لسيادتك وإن مصلحة الأمريكان فوق أي مصلحة.

فيمسح الرجل عنق كلبه الذي يلهث بين يديه ويرد عليه بكل برود قائلًا:

أبو هشيمة: ده لما كانت مخلصة ليه وملهاش أعوان غيري، إنما دلوقتي لا، وأظن إني نبهت عليكم أكتر من مرة إن ماحدش ينفذلها أمر من غير ما يرجعلي فاكر؟!

(١٠)حجرة إبراهيم بمنطقة المقابر

إبراهيم متدرعًا بسلاح آلي متلصصًا بأذنيه إلى شباك النافذة المغلقة بشيء من الحذر وخفقات قلبه الزائدة تعكس حالته النفسية السيئة، تلتقط أذناه الحادتان من خلف النافذة كلام مذنبين في الظلام وضحكات مخمورة فيمعن لها أذنيه بكل شوق:

صـــوت الرجـــل: يـــاه، أدينـــا يـــا ســـت الكـــل بقينـــا في أأمـــن مكـــان، حتـــة مقطوعـــة مافيهـــاش صريـــخ ابـــن يـــومين يـــاللا بقـــا يـــاللا اقلـــعي وخلصـــي وحشاني على الآخر

صـــوت المـــرأة: هئ هئ، هئ ينيلـــك يـــا سمســـار الغـــبرة، أقلـــع إيـــه يـــا راجـــل يـــا عـــرة، عـــايزني أقلـــع هنـــا في الهـــوو ده؟!! أنـــت إيـــه يـــا راجـــل أنت عبيط والا تكونش بتستعبط؟!!

صـــوت الرجـــل: وبعـــدين معـــاكي بقـــا، مـــا أنـــا قولتلـــك تعـــالي نـــروح الشـــقة إياها على الأقل كل حاجة هناك.

صـــوت المـــرأة: لا يـــا حبيـــبي أنـــا مـــا بـــاروحش بيـــوت بعـــد الـــلي حصـــلي آخـــر مـــرة، المكـــان هنـــا أضـــمن بكتـــير، هـــو الـــلي حاصـــلي كـــان شـــوية؟ نهايته!

صوت الرجل: طب تعالي بقا، جسمي مولع حرام عليك...

صوت المرأة: بالراحة يا أبو شنب مش كده.

صوت الرجل: كويتيني بحبك يا خضرة ياللا بقا.

يرفـــع ابـــراهيم أذنيـــه مـــن عـــلى الشـــباك مبتســـمًا ماســـكًا بســـلاحه، ثم جالسًا بجوار أشجان المتدثرة وقائلًا لها باطمئنان:

إبـــراهيم: قـــومي يـــا أشـــجان مـــا تخـــافيش قـــومي شـــوفيلنا لقمـــة ناكلهـــا.. قومي يابت مفيش حاجة، دول كلبين ولف في ساعة تجلي.

فتجلس أشجان رافعة الغطاء عن رأسها قائلة: أشجان: إيه؟ فيه إيه؟ مين يا إبراهيم؟ إيه الصوت اللي بره ده؟ فيه إيه؟

فيضع سلاحه أرضًا ثم يجذبها إليه فترتمي بين أحضانه ويقول:

إبراهيم: مفيش حاجة، دول بيعملوا فيلم سكس ورا سور القرافة فتحوا نفسي ولاد الإيه.. كوتييني بحبك يا خضرة ياللا بقا!

*****

الفصل الثامن

(١)فيلا أبي هشيمة بالمقطم

أبو هشيمة بين رجاله متعصبًا غاية التعصب يملأ جسده البدين مقعدًا هزازًا له بأرضية نجيلية أمام حمام السباحة، ومداعبًا كلبًا له من كلاب الحراسة بين يديه يلهث وهو ما يزال يستجوب مروان عن أسباب تقاعسه عن العمل أثناء غيابه والرجال من حوله صامتين ومروان يجتهد في تبرير موقفه دون فائدة ويدافع بكل لباقة عن موقفه

مروان: يا لورد صدقني الموضوع غير مقصود احنا متعودين إننا نلبي طلبات الأمريكان الأول ونعمل كل اللي في وسعنا علشان ننول رضاهم سيادتك علمتنا كده من ساعة ما شاركتهم وكنت دايمًا تقول لنا إن أمريكا دي هيه اللي بتحكم العالم وإن صداقتها

شيء مهم والأمريكان بيحبوا المخلصين ليهم وإخلاصنا ليهم فيه فايدة لينا كبيرة...

فيقاطعه بكل حدة قائلًا وهو يمسح ببطن يده شعر كلبه اللاهث

أبو هشيمة: مش وقت خطب إنشائية يا مروان والكلام اللي أنت مذاكره ده كان مهم جدًا في وقت من الأوقات، إنما دلوقتي أفتكر إنه ماعادش ليه لازمة، وحارجع تاني أسألك قدام زمايلك أنت ليه ما خلصتش على الزفت اللي اسمه إبراهيم زي ما أمرتك؟ قبل ما حد يعرف إنه بيشتغل معانا وثورة تانية تقوم ونرح كلنا في داهية!! ده فجر كمين جيش وشرطة وراحت فيه أرواح كتيرة.

فيعتدل مروان بقامة طويلة تغشاه سحابة الخجل قائلًا:

مروان: كده الصورة وضحت يا باشا. من النهارده ماعادش لينا علاقة بالجماعة اللي بره ومفيش أوامر مشتركة حانفاضل بيناتها، أوامرنا من سعادتك وبس. وإذا كان على تصفية إبراهيم أبو الرجال فمانصحش سعادتك بكده، موت إبراهيم وعلى إيدك أنت بالذات حايفتح علينا أبواب الجحيم وحانلاقي عشرات الدول بتطالب بتاره وحايعملوا منه بطل قومي.

يربع يده على صدره قائلًا بنوع من اليأس:

أبو هشيمة: إبراهيم كله بقا أمريكان، من كتر شغله معاهم بقا واحد منهم (مس لندا) عملتله غسيل مخ. بقا زي الخاتم في إيديها لو أمرته إنه يرمي نفسه في النار مش حايتردد لحظة، وأنا دلوقتي مختلف معاها وأخدت من إيدها أكبر صفقة مع الألمان وأنا خايف ترمش له بس وتأمره إنه يقتلني ساعتها مش حايتردد لحظة واحدة وهيه دي اللحظة اللي مستنياها من زمان، من زمان أوي، علشان كده كان لازم إبراهيم يموت وأنا معاهم هناك في شرم الشيخ وقبل ما أعلنهم بتحدي ليهم، لأن دول كلاب ما عندهمش تفاهم، علشان كده كل دقيقة بتمر عليا وأبو الرجال عايش، حياتي ومصالحي اللي جوه واللي بره أصبحت في خطر، وفي خطر حقيقي، علشان كده ماكانش لازم يا مروان بيه تتأخر أسبوع بحاله عن تنفيذ أوامري إليك، لأن التأخير ده عرضنا بالفعل للخطر.

يهز رأسه بخجل مقتنعًا بالكلام قائلًا:

مروان: أنا آسف يا أفندم. مش حاتتكرر تاني، آخر مرة.

يعتدل الرجل في جلسته ثم يعاود الاهتزاز بمقعده ناظرًا عن يمينه حيث حمام السباحة الذي تعكس مياهه الأنوار المتلألئة ثم ينظر عن شماله حيث فرقة من الحرس الخاص المدججين بالأسلحة الرشاشة على صدورهم ثم يستقر بنظره الحاد إلى

الأمام حيث صفين من الرجال في الوضع - انتباه – وفي مقدمتهم مروان الذي ما يزال يستعطفه:

مروان: أرجوك يا باشا، أرجوك سامحني المرة دي.

فيندفع غاضبًا وبأعلى صوته يرد عليه:

أبو هشيمة: مفيش حاجة اسمها سامحني، فيه ثواب وفيه عقاب.

ثم مشيرا للكلب اللاهث بين يديه بإشارة يفهمها الكلب قائلًا له بلجهة انتقام:

أبو هشيمة: شوف شغلك معاه يا داغر....

فيرتجف مروان من أعماقه وترتعد فرائصه مستغيثًا:

مروان: لا يا باشا أرجوك، أبوس إيدك بلاش داغر، آه، إلحقوني.

فينطلق الكلب نابحًا، قافزًا على مروان قفزًا يمزق جسمه تمزيقًا بكل وحشية.

(٢)حجرة إبراهيم بمنطقة المقابر

إبراهيم وأشجان متعانقان في قبلة طويلة ساكرة.. يتلاحم جسماهما بعشق كجسم واحد.. تختلط أنفاسهما الملتهبة وتمتزج في نفس واحد كل أحزان السنين المتراكمة والهموم

المتزاحمة قد تناست من ذاكرتهما وتلاشت كالسراب وتبدى ذلك جليًا في صفاء صفحة وجهيهما..

(٣)فيلا أبي هشيمة بالمقطم

أبو هشيمة يقف من جلسته كالجمل في وقوفه من رقدته. يشير بسبابته إلى كلبه الذي ما يزال يمزق جثة مروان كل ممزق في منظر يشيب منه الولدان وآمرًا له بكل برود قائلًا:

أبو هشيمة: ثانكس، إتز فيري جود. يأتي إليه الكلب مقبلًا يهز له ذيله وفمه مخضب بالدماء فينحني إليه ماسحًا أبو هشيمة على ظهره قائلًا له بكل لطف وتودد برافو يا داغر، أنت كده عملت اللي عليك وزيادة روح بقا على مكان حراستك.

ينطلق الكلب مفرطًا في النباح بينما أبو هشيمة يطأ جثة مروان بقدمه، ناظرًا حوله بتكبر وخيلاء، قائلًا باستعلاء أصحاب السلطة والمال والجاه:

أبو هشيمة: وده حايبقا مصير كل اللي حايخرج عن طوعي في الأيام اللي جاية.

ينظر باحتقار إلى الجثة الممزقة آمرًا من في مواجهته قائلًا بغضب:

أبو هشيمة: خدوه، وأحرقوه، ورا المقطم ياللا بسرعة مستنين إيه؟ ياللا..

(٤)حجرة إبراهيم بمنطقة المقابر

إبراهيم يندفع قائمًا من فوق أشجان يجتهد في ستر نفسه بملاءة سرير في يديه بكل خوف وتوتر وسرعة عندما يرى كشافات سيارة ينطفئ ضوؤها على أعتاب باب حجرته من الخارج قائلًا والخوف يمزقه ويعصف به عصفًا:

إبراهيم: قومي استري نفسك بسرعة، كلاب أبو هشيمة بره بسرعة يا بت.

تعتدل في جلستها على السرير عارية الجسد، أو تكاد، تلملم شعرها إلى الوراء قائلة بسخط.

أشجان: يعكر مزاجه زي ما عكر مزاجنا، حد يحمل سلاح في الوقت ده ؟!! أف.

يحتار داخل حجرته الضيقة كحيرة الفأر في المصيدة، بعدما يلقي بملاءة السرير أرضًا يرتدي سرواله بعجالة، ثم ممسكًا بسلاحه الآلي منطلقًا به نحو الباب ناظرًا من ثقبه ثم يعتدل قائلًا وشرار الغضب يتطاير من عينيه:

إبراهيم: دول ناس تانية، ليهم مهمة تانية خالص غير شحن السلاح. يبقا أكيد اللورد مختلف مع الأمريكان وخايف منهم، خايف ليغدروا بيه ففكر إنه يتغدى بيه قبل أنا ما أتعشى بيه تنفيذًا لأوامرهم.

يشير إليها بكل حرص قائلًا بارتباك وخوف:

إبراهيم: لمي نفسك بسرعة، وانزلي ورايا على المخزن، همه كده، كده حاينزلوا ورانا بس تحت حانعرف ندافع عن نفسنا كويس ياللا!

ينبطح أرضًا؛ ليزيح حصير الأرض، كاشفًا عن غطاء حديدي بترباس له فيجذب الغطاء جذبًا ثم يرفع الغطاء رفعًا؛ ليتدلى داخل سلم حديدي فتحته عن طريق يؤدي به إلى أرضية المخزن أسفل الحجرة قابضًا على سلاحه الآلي حاضنًا له بكل حرص واتزان.

تتبعه أشجان بعدما ارتدت من ثيابها ما يسترها، وهي تحاول في نزولها ومن نفسها أن تعيد غطاء الفتحة مرة ثانية كما كان، لكنها لم تستطع فينادي عليها من أسفل زاجرًا لها وبصوت يملأه الغيظ:

إبراهيم: سيبي كل حاجة زي ما هيه وانزلي بسرعة، ما تخلصي يابت خلصت روحك.

ثم يكمل مكالمة له في التليفون كان قد قطعها قائلًا باعتذار:

إبراهيم: سوري يا مس، إكس كيوز مي.. بقول لسيادتك دا باعتلي رجالته علشان يخلصوا عليا، أعمل إيه معاهم؟ كده، أوكيه ماشي يا أفندم أهم حاجة رضاكم عني.

(٥)سفح جبل المقطم

سيارة جيب بها عملاقان تتوقف من فرط سرعة لها محدثة بعجلاتها غبارًا من الرمال تحت سفح الجبل الصامت.

يهبطان منها بقفزة واحدة كأنهما شبحان في ظلمة الليل البهيم.

أما أحدهما وهو قائد السيارة فيفتح باب السيارة الخلفي بكل عنف وسرعة؛ ليحمل جثة مروان الممزقة بين ذراعيه حملًا ثم يبتعد بها عن السيارة بضعة مترات ثم يودعها سفح الجبل ثم يهرول هرولة فهد هارب ليحمل بين يديه جركن بنزين من السيارة ليسكبه عن آخره على الجثة باهتمام ثم يلقي به جانبًا؛ ليشعل النار بها.

أما الآخر فيظل في مكانه بجوار السيارة يراقب الجثة المشتعلة دون كلام.

النار تتأجج تأججًا فيستحيل الظلام بها كظهيرة شمسها محرقة.. يعتليان السيارة؛ لتنطلق بهما مسرعة يبتلعها الظلام ابتلاعًا.

(٦)حجرة إبراهيم بمنطقة المقابر

ينكسر باب الحجرة الخشبي بضربة واحدة من كتف أحد البودي جارد الأربعة المقتحمين للمكان بكل همجية، فيندفعون

إلى الداخل كالثيران الهائجة مدرعين برشاشات على صدورهم كالأوسمة. يقلبون الحجرة رأسًا على عقب ثائرين:

الأربعة: ياه، هو فين؟

أحدهم يفطن إلى حصيرة مكومة فيركلها بقدمه ركلة قوية وهو يسب ويلعن..

أحدهم: راح فين ابن الكلب.؟؟؟

يفاجأ الجميع على غير توقع بفتحة بأرضية الحجرة غطاؤها مرفوع عنها متصلة بسلم حديدي إلى أسفل، فتتسمر أقدامهم مذهولين، تدور أعينهم حيرة ودهشة..

(٧)فيلا أبي هشيمة بالمقطم

(داخل حجرة مكتبه)

أبو هشيمة في حجرة مكتبه يتصفح بكل تركيز واهتمام مواقع له على الإنترنت كالطالب يستذكر دروسه في حال انكفائه على الكمبيوتر.

تدخل عليه ابنته طارقة باب الحجرة طرقتين خفيفتين قائلة بصوت كله دلال في حال استئذانها عليه بالدخول..

رنا: "جود إيفننج داد".

يلتفت إليها بكل اشتياق مناديًا عليها أثناء عمله قائلًا مندفعًا..

أبو هشيمة: أهَلا يا رنا إزيك يا حبيبتي عاملة إيه؟ ادخلي..

ثم يترك ما في يده لائمًا لها بنبرة عتاب مصطنع قائلًا:

أبو هشيمة: لا، لا. أنا زعلان منك وكمان مخاصمك، يومين بحالهم ما شوفكيش؟!

تميل على خده؛ لتطبع قبلة حارة ثم جالسة على فخذيه حال جلوسه أمام شاشة الكمبيوتر قائلة بكل خفة ودلال:

رنا: نوه، نوه، نوه، أيام سوري، أيام فيري سوري، ما عاش ولا كان اللي يزعلك يا جميل.

ثم تعتدل واقفة لتواصل الكلام...

رنا: ولكن يا سيادة القاضي اسمحلي أن أدافع عن نفسي قبل صدور هذا الحكم القاسي ضدي، وهو زعل سيادتكم مني. تعلمون يا أفندم إني بجهز حالي للسفر لأمريكا حيث جامعة كاليفورنيا، ومتعة الدراسة فيها.

يستدير لها في جلسته قائلًا بكل اعتراض:

أبو هشيمة: شحططة تاني، وبعد عني، ما كنا أخدنا الدكتوراة من هنا وخلصنا، مش كان أحسن؟

تميل على خده مرة أخرى تقبله ثم تعتدل قائلة:

رنا: لا، لا يا دادي، الدكتوراة من بره حاجة تانية خالص! وأنا خلاص اتفقت مع ماما أنكم حاتجوني أسبوع في الشهر طول سنين دراستي بره تقضوه معايا هناك علشان ما احسش بأي غربة، واللا إيه؟ واللا أنت ليك رأي تاني يا سي بابا؟ قول أنا سمعاك وُكلي آذان صاغية.

يقف من مجلسه بكل صعوبة خشونة العظام متمشيًا بكل بطء ناحية مكتبه وهو يقول بنبرة الاعتذار:

أبو هشيمة: لا، لا، لا، يا رنا اليومين دول شغلنا متلخبط على الآخر في مصر.. ممكن نبقي نجيلك بعدين آهه منها تبقى زيارة وفسحة وكمان نبقا نشقر على مصانعنا اللي هناك ونشوف كل حاجة على الطبيعة. يستدير لها بوجهه واضعًا يديه على كتفيها ومواصًلا كلامه بارتياح:

أبو هشيمة: وعلى العموم زي ما عملنا معاكي وأنتي بتدرسي هناك للماجستير حانعمل كل الترتيبات اللازمة وأنتي بتدرسي تاني للدكتوراة ولما حاتوصلي هناك بالسلامة حاتلاقيني مجهزلك فريق عمل متكامل حايبقى في انتظارك هناك في فيلتنا بكاليفورنيا، وحايبقى تحت أمرك في كافة شيء وطبعًا هنبقى متواصلين مع بعض على النت كل يوم وكل لحظة واللا إيه؟!

ترتمي بين أحضانه الدافئة قائلة:

رنا: ربنا يخليك لي يا أحلى بابا في الدنيا.

يحتضنها بكل حنان الأب قائلًا:

أبو هشيمة: ويخليكي ليا يا روح بابا.

جرس تليفونه المحمول يرن مما يجعله يتعجل وداع ابنته مقبلًا جبهتها؛ ليستأذنها بقوله لها:

أبو هشيمة: يا لا يا حبيبتي تصبحي على خير، ماتنسيش تعدي عليا بكره في الشركة.

يتناول التليفون باهتمام بينما تخرج ابنته قائلة:

رنا: أوكيه، باي.

يرفع المحمول على أذنه، ليرد بكل حذر قائلًا باللغة الإنجليزية:

أبو هشيمة: هاللوه، مس لندا، أيام جلاد تو ريسيف يور فاكس... هاو آر يوه؟!

(٨)حجرة إبراهيم بمنطقة المقابر

الرجال الأربعة الأشداء تسول لهم أنفسهم النزول إلى مخزن الأسلحة في أعماق الأرض عبر السلم الحديدي من فتحة بأرضية الحجرة، ويتضح ذلك جليًا.. المشجعة بعضهم لبعض. فيتشجع أحدهم مغامرًا بنفسه من فرط شجاعته؛ ليتدلى بهمجية الثيران من فتحة الحجرة بشيء من الصعوبة وهو يقول بصوت أحباله ممزقة..

أحد الرجال: دي أصبحت مسألة حياة أو موت لو رجعنا للورد من غير راس ابن الكلب ده حايخلص علينا في التو واللحظة والمرة دي حايسيب علينا (تامر وشوقية) الأسدين اللي عنده في مدخل الهول بتاع الفيلا.. ومايبقاش لينا دية. يضع قدميه الثقيلتين على درجات السلم الحديدي هابطًا لأسفل متأبطًا سلاحه الرشاش، ولم يكد يتخطى الدرجات الأربع من أعلى السلم الطويل بعد، حتى يرشق في ظهره بعدة رصاصات صائبة أفقدته توازنه فيرتد قتيلًا في الحال، ساقطًا بكل ثقله إلى الأرض صارخًا صرخته الأخيرة المدوية كالرعد.

الرجل: آآآآآآآآآآآآآآآآه

(٩)فيلا أبي هشيمة بالمقطم

أبو هشيمة ما يزال في حجرة مكتبه يتصفح مواقع بعينها على الإنترنت يتوقف عن عمله دون رغبة منه عندما يقاطعه رنين تليفونه المحمول المفاجئ فيرفع التليفون على أذنيه قائلًا بتوتر:

أبو هشيمة: إيه الأخبار؟ أخرتوا ليه يا حيوانات؟ مش قايلكم ساعة زمن واحدة وتكونوا عندي! ليه التأخير داكله؟ احنا ليه مش مقدرين قيمة الوقت زي الأجانب؟ ليه؟

ينتفض من داخله انتفاضة يقف من فوره على إثرها يغلي بها أعماقه غلي الحميم متمشيًا في حجرته تجاه باب الشرفة الموارب قائلًا بكل ارتباك وخوف:

أبـو هشـيمة: بتقـول إيـه يـا بـدران؟! أبـو الرجـال قتـل واحـد مـنكم! عـارف ده معناتـه إيـه يـا بـدران؟ معناتـه إنهـم أعطولـه الإذن إنـه يخلـص علينـا كلنـا، وبكـده يبقـوا أعلنـوا الحـرب علينـا، أيـوه أعلنـوا الحـرب علينـا، الأمريكـان أعلنـوا الحـرب علينـا، أعلنـوا الحـرب علينا..

يهـبط بجسـمه الممـتلئ عـلى أريكـة مكتبـه ملقيًـا بتليفونـه المحمول أرضاً وهو يواصل كلامه بذهول:

أبـو هشـيمة: الـلي كنـت خـايف منـه حصـل، الـلي كنـت خـايف منـه حصـل! أعطولـه الإذن إنـه يخلـص علينـا كلنـا وأنـا عـارف قـدرات أبـو الرجـال كـويس محـدش حايقـدر عليـه، ده مـدرب عـلى أعـلى مستوى، أيوه الأمريكان مدربينه على أعلى مستوى.

يـدفن وجهـه العـابس بـين كفيـه المنتفختـين قـائلًا أبـو هشـيمة : مفيش قدامي غير الإبلاغ عنه.

(٩)حجرة إبراهيم بمنطقة المقابر

الرجـال الثلاثـة الفاقـدين لـرابعهم يحـاولون محـاولات جذافيـة لصـيد إبـراهيم المختـبيء وسـط صـناديق الأسـلحة المتراكمـة بـالمخزن أسـفل الحجـرة تحـت الأرض فمـن حـين لآخـر هنـاك إطـلاق نـار مـن جـانبهم بطريقـة عشـوائية دون رد.. وفجـأة يـأمرهم أحـدهم بـالكف عـن المناوشـات مشـيرًا إلى صـاحبيه قـائلًا لهمـا بلهجة الأمر:

بـــدران: كفايـــة كـــده، كفايـــة بقـــا، ماعـــدش منـــه فايـــدة في كـــل الـــلي بنعملـــه ده، هـــو إحنـــا شـــايفينه فـــين أصـــلًا علشـــان نفـــتح عليـــه النـــار دي!! أف، خل بالك معايا أنت وهوه..

ينظـــر إليهمـــا بكـــل مكـــر الثعالـــب ثـــم ينظـــر إلى الفتحـــة بأرضـــية الحجرة آمرًا لهما بلهجة القائد:

بـــدران: أقفلـــوا الفتحـــة دي بالغطـــا بتاعهـــا وتربســـوه بالترباس كـــويس علشـــان مـــا يعـــرفش يطلعلنـــا حانســـيب المكـــان هنـــا وحانلفلـــه إحنـــا التلاتـــة مـــن بـــاب المخـــزن الرئيســـي وحانكســـر الأقفـــال وحـــانهجم عليه وحانفترسه ونقطعه حتت حتت.

يشير إليهم بمقدمة ذقنه آمرًا لهما قائلًا:

بدران: ياللا بينا يا رجالة...

*****

الفصل التاسع

(١)فيلا أبي هشيمة بالمقطم

(حجرة مكتبه ... ينفتح باب المكتب بدون إنذار وتدخل زوجته إليه مسرعة الخطى فتجده منكس الرأس، حزين الحال، فتندفع قائلة بكل قلق وخوف:

دولت: إيه؟ فيه إيه؟ قلقتني عليك؟ ليه سهران لحد دلوقتي؟ أنا سيبت حفلة الجمعية وجيت بسرعة لما ماردتش على تليفوني حسيت إن فيه حاجة مالك يا حبيبي؟ سلامتك!

فيرفع إليها وجها ساخطًا ويقول:

أبو هشيمة: شوية تعب مفاجئ أكيد من كتر قعادي قدام النت..

فترفع تليفونها على أذنها قائلة بكل اهتمام وهي تحاول أن تلتقط أنفاسها:

دولت: سلامتك يا حبيبي ألف سلامة ثواني والدكتور حايجي ويشوفك.

فيشير إليها بيد مرتعشة قائلًا:

أبـــو هشـــيمة: لا،لا، مفـــيش داعي يـــا دولـــت، مـــش عـــاوزين شـــوشره، أنـــا خـــلاص بقيـــت كـــويس- خـــدي بإيـــدي لأودة النـــوم أنـــا محتـــاج ارتاح شوية.

فيقف بكل صعوبة متكيئًا عليها؛ لتحوطه بذراعيها وهي تقول

دولـــت: عـــلى مهلـــك يـــا حبيـــبي ثـــم تمـــر بـــه مـــن حجـــرة المكتـــب إلى الصالة الطويلة المؤدية إلى حجرة نومهما فيدخلان..

(٢)حجرة إبراهيم بمنطقة المقابر

(الرجـــال الثلاثـــة الفاقـــدين لـــرابعهم في الخـــلاء أمـــام حجـــرة إبـــراهيم يناقشـــون خطـــتهم للهجـــوم عـــلى مخـــزن الأســـلحة مـــن ناحيـــة بابـــه الرئيسي – المدفون بطبيعته – عن مستوى الأرض للتمويه)

بـــدران: واحـــد حـــايروح معايـــا والتـــاني حايخليـــه هنـــا في العربيـــة. حـــانلف مـــن ورا مـــن ناحيـــة المـــدافن حـــانلاقي مقـــبرة رخاميـــة في ضـــهر أودة الزفـــت ده مبـــاشرة حـــانفتح بابهـــا، وحانـــدخل فيهـــا حـــانلاقي في وشـــنا ســـلالم حجريـــة حاتاخـــدنا لبـــاطن الأرض بعـــد مـــا نـــنزل حـــوالي عشـــرين ســـلمة وســـلمة، بعـــدها حـــانلاقي بـــاب المخـــزن الرئيســـي حاننســـف أقفالـــه، ونقتحمـــه وحـــانخلص عـــلى الكلـــب الـــلي جـــوه ده، ونفصـــل راســـه عـــن جســـده، لأن اللـــورد نـــاوي يبعـــت راســـه في ورق سلوفان هدية للأمريكان، فاهمين يا رجاله؟

الرجلان: فاهمين يا بص.

بدران: طب ياللا بينا..

الثلاثة يندفعون متلفعين بظلمة الليل غربًا ناحية سور القرافة لكن أحدهم يتخذ من مؤخرة سيارتهم البوجيه البيضاء متكئًا يتكئ عليه بظهره، ينتظر في الخلاء، أما الآخران فينزويان غربًا ناحية السور تصحبهما خفقات قلبيهما المتدفقة الممتزجة بأصوات عواء الذئاب ونباح الكلاب، وصراصير الليل، ونقيق الضفادع، وهمسات الليل الحزين.

(٣)حجرة نوم أبي هشيمة

أبو هشيمة في فراشه بجوار زوجته النائمة قلقًا لا يغمض له جفن يتقلب عن اليمين والشمال بكل بطء، لكنه سرعان ما خطرت على ذهنه فكرة عابرة وليدة اللحظة فأسرع بإيقاظ زوجته كغريق يتعلق في طوق نجاة.

أبو هشيمة: دولت، دولت اصحي لو سمحت عاوز أقولك على حاجة.

يعتدل في جلسته على السرير بكل صعوبة، وبصوت حاد كالسيف ينادي زوجته؛ ليوقظها قائلًا

أبو هشيمة: بقولك اصحي يا دولت. أوف!!.

تتقلب في فراشها بقميص نوم شفاف متثاقبة ثم تعتدل متسائلة: دولت: إيه، فيه إيه؟

فيرد عليها بصوت مهموم وهو ما يزال يجتهد لإيقاظها:

أبو هشيمة: انتبهي لي يا دولت عاوز أكلمك في موضوع مهم.. انتبهي لي أرجوك.. مفيش وقت للنوم، الوقت اللي جاي علينا كله خطر، عاوز أكلمك في موضوع مهم إنتي ورنا، ودلوقتي، لازم نتكلم دلوقتي، مش أي وقت تاني، لازم.. آه.

(٤)منطقة المقابر

بدران وزميله يتسلقان سور القرافة بكل مهارة ثم يقفزان قفزة واحدة ليكونا بين المقابر، كقردين ماهرين وليس بينهما وبين حجرة إبراهيم سوى سور القرافة العتيق. فها هما يتحسسان المقابر الملاصقة لسور المقبرة الرخامية الفارغة من الداخل ليقول بدران وهو يتنفس بكل صعوبة:

بدران: آه.. هيه دي المقبرة؟!! هي دي اللي حاتوصلنا للباب الخلفي لمخازن السلاح، الباب اللي كل عصابات الإرهاب الدولية بتيجي تستسلم منه الأسلحة والمتفجرات اللي بيستخدموها ضد الأنظمة الفاسدة..

يتعاونان في رفع بابها الثقيل، ثم يدخلان فيحتويهما المدخل معًا في صحبة نباح كلاب يأتي صداه من بعيد.

(٥)داخل مخزن الأسلحة تحت الأرض

إبـــراهيم وأشـــجان يطوفـــان بمخـــزن الأســـلحة الكـــائن تحـــت الأرض فيمران معًا بين صفوف الصناديق الحديدية للأسلحة والذخيرة

فتتعجـــب أشـــجان قائلـــة بهمـــس: خمســـتاشر ســـنة وأنـــا حارســـة المخـــزن ده، وعمـــري مـــا دخلتـــه!! ولا أعـــرف إيـــه أنـــواع الأســـلحة الـــلي فيـــه، ولا فكـــرت في يـــوم إني أدخلـــه أو أعـــرف الـــلي فيـــه، أنـــا كـــان كـــل دوري وبـــس خدمـــة النـــاس الـــلي جايـــة تحمـــل الســـلاح بالليـــل، أوكـــل، وأشرب، وأعمر الجوزة آدي كل دوري.

فيمـــر بهـــا إبـــراهيم بـــتلال مـــن صـــناديق الأســـلحة المشـــونة بطريقـــة هندسية قائلًا لها باستياء:

إبـــراهيم: أنـــتي كـــان كـــل دورك لقمـــة هنيـــة تكـــفي ميـــة وشـــوية شـــاي في الخمســـينة عـــلى حجـــرين معســـل متغمســـين كعمليـــة ترطيـــب للنـــاس المغتربة اللي جايه تحمل سلاح من عندنا آدي كل دورك.

يتوقف بها ناظرًا إلى السقف قائلًا:

إبـــراهيم: أمـــا أنـــا كـــان دوري إني أجيـــب كـــل الســـلاح ده مـــن بـــلاد الـــدنيا علشـــان نخبيـــه هنـــا في سرداب بـــين الأمـــوات. كلنـــا في خدمـــة الكبـــار. دايمًا يأمروا وإحنا دايمًا ننفذ ودايمًا همه الكبار.

تتعجب أشجان متسائلة وهي تدور حول نفسها في المخزن حال كونها. عارية الساقين والفخذين وتقول:

اشجان : يا ترى بتعملوا إيه بكل الأسلحة دي؟ دي المخازن مالهاش أول من آخر، ده بتنتهي بنهاية الترب.

فيضحك إبراهيم ساخرًا ويقول:

ابراهيم : المكان كله كان كامب إنجليزي أيام الاحتلال والمخزن ده كان برضه مخزن أسلحة وذخيرة أيام الإنجليز وبعد خروج الإنجليز من مصر فضلت المنطقة دي كلها مهجورة أكتر من عشرين سنة ماحدش قادر يهوب منها، كانوا خايفين موت من الألغام اللي الإنجليز زرعوها في المكان قبل ما يخرجوا منه لحد ما الباشا الكبير بتاعنا دخل البرلمان وحط إيده على المكان كله وأخذه بوضع اليد وجابله تصريح جبانة وبدأ يبيع الأرض من فوق مقابر وترب علشان يبعد العين عنه وماحدش يفكر أبدًا إنه ستارة بتداري على أكبر مخزن أسلحة وذخيرة في الشرق الأوسط وإنه متصل بسرداب طويل نافد للناحية التانية، وفي الناحية التانية تقف العربيات اللي حاتحمل السلاح، والعمال تفضل تحول في الصناديق طوال الليل من المخزن إلى العربيات عن طريق السرداب كنوع من التأمين والتمويه.

تستعرض أشجان المكان بعينها قائلة: أيوه وكل ده ليه؟ بتعملوا إيه بالسلاح ده كله؟

فيدور إبراهيم حول نفسه ضاحكًا ويقول: بنجيبه بنصف التمن وقت السلم، ونبيعه بأضعاف تمنه وقت المشاكل، والحروب، والمظاهرات، والانقلابات.

تزداد أشجان تعجبًا قائلة له:

أشجان: يعني أنتوا كده من مصلحتكم إن البلاد تفضل على طول في صراعات وحروب ومظاهرات، وانقلابات.

فيهز لها رأسه قائلًا بدهاء:

إبراهيم: شاطرة يا أشجان!!

فتتوقف أشجان مستندة على صفوف الصناديق قائلة بكل تعجب واندهاش:

أشجان : معقولة يا إبراهيم قدرت تجيب لأبو هشيمة كل السلاح ده! وجيبته منين؟ وإزاي وإيمته؟؟؟

فينفجر إبراهيم في الضحك مقهقهًا: هو أنتي فاكرة إن المخزن ده أبو هشيمة ليه حاجة فيه؟

فتطيل النظر إليه بعينيها الواسعة مندهشة قائلة:

أشجان : بتقول إيه؟

فيواصل قائلًا بقهقهة:

ابراهيم : إذا كان أنتي ليك فيه حاجة يبقا هوه التاني ليه.

فتهز له رأسها متسائلة:

أشجان: أمال بتاع مين؟

فيمسكها من ذراعيها متراقصاً بها ويقول:

إبراهيم: بتاع أمنا الغولة. ثم يصمتان معًا على إطلاق رصاص على باب المخزن فيندسان معًا في سرعة وسط الصناديق دون أدنى همس أو كلام.

(٦)حجرة نوم أبي هشيمة

أبو هشيمة يضطرب من داخله كالبحر زاجرًا زوجته وابنته الجالستين بجواره على سريره قائلًا لهما بكل عنف:

أبو هشيمة: ياريت الكلام اللي قلته يتسمع ويتنفذ بالحرف الواحد من غير حرقة دم، وضغط أعصاب، مفهوم؟؟؟

يقف بصعوبة الجسم المترهل ناظرًا إليهما ويواصل كلامه قائلًا:

أبو هشيمة: اللي أنا شايفه هو الصح مفيش وقت للمناهدة أنا مش عارف ظروفي في الأيام اللي جايه دي حاتكون إيه؟ بلدنا أصبحت على كف عفريت والأمور فيها غير مستقرة والاغتيالات فيها كترت عن الأول و في أي وقت ممكن تقوم فيها ثورة تقضي على كل أخضر ويابس، فالأفضل اللي أنا فكرت فيه وباطلب منكم تنفيذه وبدون تردد. فاهمة يا دولت أنتي ورنا؟

(٨) داخل مخزن الأسلحة تحت الأرض

بدران وزميله يقتحمان المخزن اقتحامًا تسبقهما رصاصات طائشة عشوائية كنوع من الإرهاب. ها هما ملتصقا الظهر كلاهما.. كل منهما يعطي ظهره للآخر يجدان في البحث عن ضالتهما صائحين في صوت واحد: "اطلع يا إبراهيم يا جبان يا حبيب الأمريكان"..

فيستجيب لهما فجأة قافزًا عليهما قفزًا كالصقر من أعلى الصناديق القريبة من سقف المخزن يرشقهما بوابل من الرصاص من سلاحه الآلي فيرتدان قتيلين في لحظة واحدة تغمرهما الدماء من كل مكان، ولم يكد يلمس الأرض بأقدامه حتى تخرج أشجان من مخبئها فرحة ببطولته تهرول إليه قائلة: تسلم إيدك يا أبو الرجال يا تربية الأمريكان، تسلم تسلم!!

لكن بدران الغارق في دمائه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة يضغط على زناد سلاحه الرشاش الذي ماتت يده عليه ضغطة ضعيفة ويموت طارحًا رأسه وسط الدماء، لكن الرصاص يخرج متواليًا فيصيب أشجان في مقتل وهي تحاول احتضان إبراهيم فرحة بانتصاره فتلفظ مجهدة أنفاسها الحارة في أحضانه الدافئة، فينفجر إبراهيم في الصياح والبكاء وهو يقول:

إبراهيم: أشجان، لا يا أشجان، بلاش أنتي يا أشجان، لا، لا. آه.

(٨)حجرة نوم أبي هشيمة

دولت تعترض واقفة تحكم بيديها رباط روبها الحريري التي ارتدته فوق قميص نومها الأحمر اللون الظاهر من خلف روبها الشفاف وتعتريها سحابة مفاجئة وهي تقول:

دولت: عاوزني أقولك إيه بس يا أبو هشيمة وأنت بتطلب مني إني أسيبك لوحدك في الظروف دي وأسافر مع رنا ونعيش بعيد عنك!! بقا أنا اللي رفضت أكتر المناصب في الخارجية علشان ما أبعدش عنك وأسيبك تعيش لوحدك هنا وأعيش أنا في بلد تانية، جاي دلوقتي وبعد العمر ده كله عايزنا نعيش بعيد عنك.

ثم وهي تنظر إلى ابنتها نظرة لوم تواصل قائلة:

دولت: ما تقوليله حاجة يا رنا عاجبك كلام باباكي ده؟! ساكته ليه ما تتكلمي؟

فتبدو رنا جميلة في بجامتها الموف تلف يديها حول كتف أمها وتقول مازحة:

رنا: صدقيني يا ماما لو جيتي معايا كاليفورنيا وبعدتي شوية عنه صدقيني مش حايطيق بعدك أبدًا يا جميل وحايحجز بسرعة على أول طيارة رايحة أمريكا وحايجينا على ملا وشه علشان يدور على نصه الحلو.

فينـــدفع إليهمـــا واقفًـــا مـــن جلـــوس يضـــمهما بكـــل حنـــان تحـــت جناحيه ويقول:

أبـــو هشـــيمة: آهي يـــا ســـتي، رنـــا فهمتـــك كـــل الـــلي حـــا يحصـــل بـــالظبط وبعـــدين يـــا ســـت دولـــت أنـــتي مـــش كـــذا مـــرة تقـــوليلي كفايـــاك شـــغل لغايـــة كـــده ونصـــفي أعمالنـــا هنـــا ونـــروح نعـــيش في أملاكنـــا الـــلي في أمريكـــا ونـــدير مصـــالحنا بنفســـنا الـــلي هنـــاك. وأنـــا مـــا بطلـــبش منـــك غـــير الـــلي أنـــتي كنـــتي دايمًـــا بتقـــوليلي عليـــه حـــا تروحـــوا تقعـــدوا في فيلتنـــا الـــلي في كاليفورنيـــا وتـــديروا مشـــروعاتنا الـــلي هنـــاك وآهـــو عـــلى الأقـــل تاخـــدي بـــنفس بنتـــك الوحيـــدة هنـــاك وهي بتـــدرس. وأنـــا هـــاظبط حـــالي هنـــا، وفجـــأة حـــاتلاقوني فـــوق راســـكم. بـــس مـــش دلـــوقتي لإنـــه فيـــه حســـابات هنـــا لازم أخلصـــها الأول قبـــل مـــا أســـيب مصـــر، لازم وفي أقصى سرعة.

(٩)منطقة المقابر

إبـــراهيم يتســـلق ســـور القرافـــة كقـــرد محـــترف قاذفًـــا بنفســـه خـــارج المقـــابر حيـــث الخـــلاء أمـــام حجرتـــه حـــال كونـــه مجهـــد الـــنفس كطـــائر جريح يتألم.

إبراهيم: آه، آه، آه.

فيتفاجـــأ بالســـيارة البوجيـــه البيضـــاء أمـــام حجرتـــه وشـــبح عمـــلاق مـــتكئ بظهـــره عـــلى مؤخرتهـــا عاطيًـــا ظهـــره لـــه فيتقهقـــر قلـــيلًا مســـتترًا

بجدار حجرته الغربي المؤدي إلى سور القرافة العتيق؛ ليفكر في الأمر محدثًا نفسه بصوت مسموع..

إبراهيم: بقا كده يا لورد بعد كل الخدمات اللي قدمتهالك وبعد كل المكاسب اللي كسبتهالك وبعد كل أعدائك اللي خلصتك منهم.. بعد دا كله جاي دلوقتي وبكل بساطة وعاوز تخلص مني كده، ومن نفسك ولا كأننا في منظمة واحدة، وفيه ناس تانية أكبر مني ومنك هي اللي بتحركنا!!

يعض على يديه غيظًا قائلًا:

إبراهيم: ورحمة أشجان الغالية اللي لسه مادفنتهاش لأخليك تندم يا أبو هشيمة الكلب على اليوم اللي زعلتني فيه، وما أبقاش أنا إبراهيم أبو الرجال اللي رضع الخيانة والغدر على إيد الأمريكان من صغره إن ما هديت المعبد على اللي فيه وطلعتك خسران الجلد والصأت بعد ما أكون أخدت حقي وحق المسكينة أشجان منك تالت ومتلت وخليتك عبرة لمن يعتبر.. حاكشفك وحاكشف جميع أوراقك قدام العالم كله وحاخلي اللي ما يشتري يتفرج عليك.

(١٠)حجرة نوم أبي هشيمة

أبو هشيمة في سريره عاطيًا ظهره لزوجته في محاولة منه لمداراة قلقه وتوتره فيحدث نفسه في سره مناجيًا لها:

أبـو هشـيمة: أكيـد أنـا اتسـرعت لمـا اتحـديت الأمريكـان، وتجـاوزت حـدودي معـاهم وبـدأت أنطلهـم في كـل صـفقة همـه عايزينهـا علشـان كـده عقـدوا نيـتهم عـلى الخـلاص مـني بـس أنـا برضـك معـزور همـه الـلي ابتـدوا معايـا الأول والبـادي أظلـم، لمـا أخـدوا مـني وعيـني عينـك كـده توكيـل المـواتير الإيطـالي مـع إني كنـت مخلـص التوكيـل ده لشركتي، وغـيره وغـيره، علشـان كـده رديـتلهم الألـم ألمـين في صـفقة ألمانيـا الأخـيرة. علشـان كـدة اتسـعروا زي الكـلاب والنـار قـادت فـيهم وعـاوزين يتخلصـوا مـني بـأي طريقـة ويزيحـوني مـن طـريقهم، بـس أنـا فـاتتني حاجـة، وحاجـة مهمـة جـدًا كـان المفـروض إن أخلـص مـن أبـو الرجـال قبـل أي شيء وقبـل مـا أشـتغل لوحـدي مـن غـيرهم كنـت لازم أدبـر لـه حادثـة كـده، والـلا كـده، آهـو كـان غـار في داهيـة وأخـد الشـر كلـه معـاه آه!! يـاريتني كنـت أخـدت بـالي.. ياريتني!!!

(١١)منطقة المقابر

إبـراهيم مـا يـزال مسـتترًا بجـدار حجرتـه الغـربي المـؤدي إلى سـور القرافـة العتيـق... هـا هـو يعتـدل في وقفتـه وسـط الظـلام الـدامس يجفـف عـبرات قـد انـذرفت مـن عينيـه حزنًـا عـلى عشـيقته، ثـم يخلـع مـن عنقـه سـلاحه الآلي؛ ليقـبض بكـل قـوة عـلى مقبضـه قبضًـا منـدفعًا في جريـه كالأسـد فاتحًـا النـار بكـل شراسـة عـلى ذلـك الرجـل المـتكئ بجسـمه العمـلاق عـلى مـؤخرة السـيارة البوجيـه البيضـاء

الواقفة في الظلام أمام باب حجرته فينسفه الرصاص نسفاً وسط الظلام فيصعق من توه صارخاً.

الرجل العملاق: آه، آه، آه، آه!!!!!

*****

الفصل العاشر

(١)حجرة نوم أبي هشيمة

أبو هشيمة ما زال في سريره عاطيًا ظهره لزوجته، لكنه تلك المرة يغط في نومه كالمستسلم لقدره، لكن جرس تليفونه المحمول يقطع عليه كوابيسه المزعجة قطعًا فيستيقظ بخمول تام مضطجعًا على جنبه ممسكًا بتليفونه من على الكومودينو ناظرًا في شاشته ثم مرتديًا نظارته ذات السلسلة الفضية؛ ليعيد النظر مرة في شاشة تليفونه هامسًا لنفسه بتعجب شديد ثم يفتح التليفون ويرفعه على أذنه قائلًا باضطراب:

أبو هشيمة: جود، جود، جود إيفننج سيادة السفير، مش، مش من عادة سيادتك إنك تكلمني في وقت متأخر زي ده.. خير يا أفندم؟؟؟!! حضرتك بتقول إيه؟ إيمته؟ والساعة كام؟ هوه فيه إيه يا أفندم؟!!، حضرتك حضرتك كدا قلقتني، طب طب يا أفندم ما تزعلش نفسك، أيام سوري، أيام سوري، أوامر سعادتك، الساعة اتناشر بالظبط حاكون عند سعادتك ماشي يا

أفندم اطمن سيادتك حضرتك عارف مواعيدي المظبوطة باي، باي، باي!

يضع التليفون واقفا في ذهول كالطائر مكسور الجناحين، متمشيًا تجاه الشرفة فاتحًا بابها بكل خمول ثم شادًا ستائرها الحرير متثائبًا يتجول بنظره إلى المكان من حوله على غير عادته... الحديقة بأشجارها الباسقة - وحمام السباحة بمياهه المضيئة - وشبح جبل المقطم الحاضن للفيلا- ثم يشعل سيجارًا بكل بطء لينفث أدخنته بهمس؛ ليحيل المكان من حوله شبورة بلون الفضة وما يزال واقفًا شاردًا في شرفة حجرته دون كلام أو حركة تحتسب.

(٣) منطقة المقابر

إبراهيم يلقي بنفسه داخل السيارة البوجيه البيضاء خائفًا يترقب؛ لينطلق بها في سرعة الصاروخ شاقًا بأنوارها ظلمة الليل الحالكة يتبعه نباح كلاب ضالة وعواء ذئاب يسمع صداه من بعيد، تبدو جثة العملاق غارقة في دمائها ملتصقة بالأرض على وجهها على أثر أضواء السيارة الشاردة وقت انطلاقها هاربة.

(٣)داخل حجرة أنتريه فاخرة

الحجرة ذات أثاث رائع الجمال، منسق الألوان، بديع الصنعة، تضم بين جدرانها اثنين وأبو هشيمة ثالثهما الذي يحتل بمفرده أريكة اسفنجية تبتلعه بلعاً في المواجهة وبجواره لندا التي تحتل

أحد كراسي الأنتريه المجاورة للأريكة. تبدو في كبرياء الملكات وهي واضعة ساقًا على ساق، يجلس أمامهما في الحجرة رجل مسن توحي معالم وجهه بأنه أجنبي كما يبدو متوسط الطول ما بين النحافة والبدانة، أحمر الوجه، رمادي شعر الرأس، يغلي من داخله كالقدر على النار ثم يقول محدقًا النظر إليهما متوقفًا أمامهما يرمقهما بنظرات حارقة:

أوه ماي جاد، مش معقول!! امبوسوبل تصل بيكم الحالة لدرجة إنكم عاوزين تفضوا كل الشركات اللي قاعدتوا سنين طويلة تبنوها سوا وعشان إيه ده كله؟! علشان حاجات بسيطة كتيرة لا، لا، لا، نوه. نوه، أكيد أنتوا مجانين، شور أنتوا مجانين، المنافسة مطلوبة كتير كتير، الاحتيال في أخذ الصفقات صفة مهمة كبيرة من صفات أصحاب البيزنس، المهم إن الود والصداقة تبقى قائمة بين الأطراف.

فيعتدل أبو هشيمة في جلسته ماسكًا بكرشه المتدلي؛ ليداريه بجاكتته ومعدلًا من رابطة عنقه؛ ليقول والغضب مرسوم على جبهته:

أبو هشيمة: سعادة السفير حضرتك عارف كويس إن مس لندا هي اللي بدأت، عمالة تزنق عليا في كل صفقة أدخلها، خلاص دي أصبحت حاجة لا تطاق حقيقي أصبحت لا تطاق.!! أف.

فيشير السفير إليه بيده مقاطعًا لكلامه قائلًا بحدة وجحود:

السفير: حضرتك مستر أبو هشيمة اللي لازم تعرف إن مس لندا بتنفذ أوامر بتاع إحنا ومش بتعمل حاجة من الراس بتاع هيه، يو أندر أستاند؟ يو أندر أستاند؟

فينفجر أبو هشيمة كقنبلة قائلًا بغضب:

أبو هشيمة: يعني إيه؟!!! أفهم من كده إنكم متفقين عليا؟!! عليا أنا أبو هشيمة اللورد طب ليه؟ لحقتوا تنسوا مين هو اللورد؟ دا أنتوا بتكسبوا من ورايا شيء وشويات أنتوا نسيتوا أنا عملت عشانكم إيه؟! وبأعمل عشانكم إيه لحد دالوقت؟؟؟!!!

فيجلس الرجل في مواجهته قائلًا بأسلوب مستفز:

السفير: مستر أبو هشيمة مش ننكر إنك تعاونت معانا كتير وكسبنا سوا، كتير كتير دي حقيقة زي الشمس، بس أيام سوري مستر لورد لما المسألة توصل أنك تنافسنا في السوق يبقى أستوب. أستوب مستر لورد، مفيش مخلوق في الكون بحاله يقدر ينافس أمريكان، ولازم تعرف... أنت وكل العرب إن ولايات متحدة أمريكية صاحبة فضل كبير عليكم وهي ولية نعمتكم.

فيشتاط أبو هشيمة غضبًا قائمًا منفجرًا في حمية جاهلية:

أبو هشيمة: سيادة السفير حاسب على كلامك دي، دي، دي إهانة لا يمكن نقبلها!! العرب همه أصل الحضارة في العالم وأنتو عارفين كده كويس.

(٤)في الصحراء الغربية

إبراهيم يبدو في ملابس بدوي ممدد الساقين في جلسته فوق فروة خروف داخل خيمة كبيرة مزروعة وسط الرمال زرعًا، وفي مواجهته رجل مسن لا يكاد يرى من شدة قصره، منهمك كعادته في شغل طاقية صوف بين يديه بكل خبرة ومهارة وإتقان وبجواره دستة كبيرة من الطواقي الصوف المشغولة وأمام الخيمة فتاة بدوية رشيقة القوام، فاتنة الجمال، تبذل كل جهدها في النفخ في كانون النار نفخًا شديدًا فتتكاثف الأدخنة محدثة عن غير قصد شبورة حول الخيمة وقت الأصيل.

وعلى مرمي البصر أمام الخيمة قطيع من الإبل والأغنام والماعز ما بين الواقف والراقد والماشي وحول القطيع مجموعة من الكلاب تعبث بالرمال عبثًا كعادتها في ذلك الوقت من النهار.

يأتي صوت الرجل القصير من داخل الخيمة ليقول:

الرجل القصير: خفي الدخانة دي شوية يا عدلية الجو قايد نار لوحده.. لطفك يا رب.

فينتابها سعال حاد من كثرة الأدخنة وتقول بصوت ممتزج بالسعال:

عدلية: النفط خلص والنار مغلباني، أف.

ثم وهي ترفع غطاء الوعاء وهو على النار تواصل:

عدلية: خلاص الأكل جرب يستوي دجايج حانكون جاهزين.

فيلتفت الرجل القصير إلى إبراهيم قائلًا له:

الرجل القصير: دي عدلية بنت أختي، أبوها قتلوه مطاريد الجبل، وأمها ماتت بعد أبوها بسنة واحدة وفاتتها أمانة في رقبتي، وأديني عايش أنا وهيا لوحدينا في الصحرا والحارس ربنا.

فيسأله إبراهيم خارجًا من صمته قائلًا باندهاش:

إبراهيم: دي بنت صابرين؟

فيجاوبه الرجل وهو يعمل: الله، الله ينور عليك ذاكرتك قوية، أي نعم دي عدلية بنت صابرين أختي.

فيثني ثناءً جميلًا على أمها قائلًا كالمحدث لنفسه:

إبراهيم: الله يرحمك يا صابرين والله أنتي خسارة في الموت، كونتي نعمة الزوجة المخلصة لزوجها، آه.!!

فيشاطره الرجل القصير الحديث وهو يعمل قائلًا:

الرجل القصير: والا أبوها الله يرحمه ويبشبش الطوبة اللي تحت راسه، كلنا كنا عايشين في حمايته، كان واد ليل صح....! البدو كلهم كانوا بيحلفوا بحياته، آه ياما التراب بيلم.

يتوقف فجأة عن عمله ناظرًا إلى إبراهيم ليسأله:

الرجل القصير: إلا قولي يا أبو الرجال، إنت محتاج رجالة أد إيه علشان أجهزلك اللي أنت عايزه؟؟

فيلم إبراهيم ساقيه متربعًا ثم هامسًا بطول نفسه قائلًا:

إبراهيم: كتير، كتير أوى يا عم شلدم، محتاج رجالة تسد عين الشمس محتاجهم ضروري، و ضروري أوي يا عم شلدم.. لازم أضرب ضربتي وبكل قوة، وفي أقل وقت ممكن، لازم، لازم.

فيضحك الرجل القصير بأسنان صفراء متآكلة ويقول:

عم شلدم: ياه! تسد عين الشمس يا أبو الرجال.. ليه؟ تكونش ناوي على تحرير القدس، واللا رايح تفتح عكة هأ، هأ.

في تلك اللحظة تدخل عدلية الخيمة حاملة بين يديها ماعون الطعام وهي تقول:

عدلية: الوكل يا خال.

يبدو قرص الشمس وهو يختفي خلف التلال وسط بحر من الشفق وقت الغروب.

(٥)فيلا أبي هشيمة بالمقطم

أبو هشيمة في وداع زوجته وابنته ومديرة أعماله بمدخل منزله حينما كان الخدم يضعون حقائب السفر داخل السيارة الفاخرة التي تنتظرهم بمدخل الفيلا، يقف بين أيديهم كالخاسر

في سباق متظاهرًا بالتماسك لنفسه حال كونه يعظهم ويرشدهم بصوت مهموم:

أبو هشيمة: خلي بالك من مامتك يا رنا، وأنتي يا دولت خلي بالك من رنا دي هي اللي طلعنا بيها من الدنيا، ما وصكيش يا أشرقت على رنا ومامتها دول أول مرة حايبعدوا عني فترة طويلة بالشكل ده، حانعمل إيه بقا؟ آدي الله وآدي حكمته، ربنا يجازي اللي كان السبب.

تدخل رنا في أحضان أبيها قائلة: أشوف وشك بخير دادي، ربنا معاك.

يحتضنها بكل حرارة قائلًا:

أبو هشيمة: ربنا يوفقك في دراستك يا بنتي خلي بالك من نفسك ومن مامتك ومن دراستك يا حبيبتي. اطمئنوا حاتلاقوا هناك فريق عمل متكامل في خدمتكم أربعة وعشرين ساعة.

تندفع مهرولة إلى السيارة المفتوح بابها ملقية بنفسها داخلها وهي تجفف دموعها المنسالة على خديها، يغلق السائق باب السيارة متجهًا إلى الجهة الأخرى؛ ليفتح الباب المقابل لاستقبال الأم المودعة لزوجها بكل شوق وحنان قائلة:

دولت: أشوفك على خير يا أبو هشيمة، خلى بالك من صحتك.

ثم تتجه بوجهها إلى باب السيارة وهي تقول:

دولـــت: حـــاول تسّـــوي حســـاباتك وبســـرعة، البلـــد دي خـــلاص! مابقاش ينفع نعيش فيها، باي.

وبســـرعة يغلـــق الســـائق بـــاب الســـيارة بكـــل مهـــارة وسرعـــة متجهًـــا إلى مكـــان قيـــادة الســـيارة وقبـــل أن يســـرع في قيادتهـــا يحدثـــه أبو هشيمة بصوت مهموم:

أبـــو هشـــيمة: خليـــك معـــاهم لغايـــة مـــا يركبـــوا الطيـــارة يـــا أســـطى خليل.

ثم يعتدل واقفًا وهو يقول:

أبو هشيمة: سامحوني مفيش قدامي غير كده.

فيرد عليه السائق بكل خضوع:

خليل: أوامرك يا سعادة الباشا.

تودعه مديرة أعماله وهي تركب بجوار السائق قائلة

أشرقـــت: أول مـــا الجماعـــة يســـتقروا هنـــاك حـــانزل عـــلى أول طيـــارة لمصـــر وزي مـــا ســـيادتك عـــارف تعليمـــات حضـــرتك ســـتنفذ بـــالحرف الواحد، باي يا أفندم.

يصافح مديرة أعماله الراكبة بجوار السائق قائلًا لها بكل لهفة:

أبـــو هشـــيمة: ابعتـــيلي ريبـــورت كـــل يـــوم عـــن تفاصـــيل حيـــاتهم في كاليفورنيا لغاية ما تنزلي، خلي بالك منهم يا أشرقت.

فترد عليه؛ لتطمئنه قائلة:

أشرقت: معاليك اطمن كل شيء مدروس، ده أنا تلميذة سعادتك.

يعتدل واقفًا بقامته القصيرة ويقول:

أبو هشيمة: اطلع بيهم يا خليل.

تتحرك السيارة ببطء نحو باب الفيلا؛ لتتحرك خلفها سيارة الحرس الخاص بإشارة من أبي هشيمة الذي يقول لهم آمرًا بكل حزم:

أبو هشيمة: خليكم وراهم لغاية ما يركبوا الطيارة، عنيكم عليهم.

ينفتح باب الفيلا؛ لتندفع منه السيارة الفاخرة وخلفها سيارة الحرس الخاص..

يدفن أبو هشيمة وجهه بين راحتيه فيغلبه البكاء، ويقاومه لكنه يفشل فينخرط فيه كطفل تائه. بينما يأتي زئير أحد الأسدين وهو في قفصه معلنًا عن غضبه دونما سبب.

(٦)في الصحراء الغربية

إبراهيم والرجل القصير – عم شلدم – وابنة شقيقته (عدلية) يتسامرون أمام الخيمة على أضواء نيران الكانون المشتعلة التي أحالت ظلام البيداء إلى ظهيرة.

الـــرجلان إبـــراهيم وعـــم شـــلدم في تنـــافس عـــلى غابـــة الجـــوزة، بينمـــا تشـــتغل الفتـــاة بصـــب الشـــاي لهمـــا في كبايـــات زجاجيـــة وهي تقـــول ضاحكة:

عدلية: الشاي الحبر يا معلمين ليلتكم أنس وفرفشة، اتفضلوا.

يشـــد إبـــراهيم نفسًـــا عميقًـــا مـــن الجـــوزة فتحـــدث قرقـــرة تمـــتزج بأصـــوات صراصـــير الليـــل المرتفعـــة قـــائلًا وفمـــه وأنفـــه كمـــدخنتين مـــن كثرة الدخان الساكر:

إبـــراهيم: الله!! صـــنف حكايـــة أول مـــرة أشرب حشـــيش بالطعامـــة دي، تســـلم إيـــدك يـــا عـــم شـــلدم يـــا بتـــاع المـــزاج كلـــه، تســـلم إيـــدك والله.

ثـــم يرتشـــف رشـــفة مـــن الشـــاي معجبًـــا بطعمـــه مواصـــلًا كلامـــه قائلًا:

إبـــراهيم: الله، تســـلم يـــدك يـــا زينـــة البنتـــة، شـــوية شـــاي حـــبر صـــح، ياه.

فيقهقـــه الرجـــل مـــن أعماقـــه حـــال جلوســـه في مواجهـــة إبـــراهيم قائلًا ودخان النرجيلة يملأ فاه كمدخنة:

عـــم شـــلدم: انبســـط، انبســـط يـــا أبـــو الرجـــال، انبســـط ده أنـــت داخـــل عـــلى معمعـــة ملهـــاش نهايـــة، ربنـــا يكـــون في عونـــك ويـــزيح عنـــك

الحمل اللي حطينه على راسك الأمريكان، ويخلصك منهم على خير.

تضرب عدلية على صدرها بيدها خائفة مرتجفة قائلة:

عدلية: يا ساتر يا رب أمريكان.!!! يا رب سلم، سلم يا رب.

فيضحك إبراهيم وهو يعطي الجوزة لعم شلدم قائلًا:

إبراهيم: وغلاوتك عندي يا عدلية، ومكانة عم شلدم من قلبي الأمريكان دول أصحاب فضل عليا ولحم أكتافي من خيرهم وهمه كل شيء بالنسبة لي.

فيشد العجوز نفسًا عميقًا من الجوزة فيعلو صوت القرقرة فتمتزج بأصوات صراصير الليل.. قائلًا وفمه وأنفه كالمدخنة:

عم شلدم: الأمريكان بتوع مصالحهم وأنت يا أبو الرجال مصلحة، مجرد مصلحة بالنسبة لهم مصلحة وبس أيوه.

فيواصل إبراهيم قهقهته وهو يحتسي الشاي قائلًا:

إبراهيم: مصلحة مصلحة بس آلاقي الضهر اللي أتسند عليه وقت الشدة يا عمي.

فيناوله العجوز الجوزة وهو يقول بسعال حاد :

عم شلدم: قالوا لنا زمان اللي ليه ظهر ما ينضربش على بطنه، أيوه.

فتضحك عدلية نافخة في نار الكانون وتقول:

عدليـــة: ماتســـيبك بجـــا يـــا خـــال مـــن الأمثـــال الجديمـــة بتاعتـــك دي ماعادش منها فايدة ما تجوله حاجة يا سي إبراهيم.

ثم تقف بقوامها الطويل ماسكة دورقًا بيدها قائلة:

عدليـــة: حـــاروح أحلـــبلكم الغنمـــات، أفـــوتكم بعافيـــة، أمـــال فـــين الكلوب يا خال؟ وينه؟!

فيرد عليها العجوز وهو يحتسي الشاي احتساءً قائلًا:

عـــم شـــلدم: حاتلاقيـــه معلـــق مطرحـــه هنـــاك عنـــد حـــوش الغـــنم، يـــا دوبـــك حاتولعيـــه وماتنســـيش تاخـــدي الشـــعلة معـــاكي تولعيـــه بيهـــا، أيوه.

تشـــعل عدليـــة الشـــعلة مـــن الكـــانون؛ لتمســـكها بيـــد وبـــالأخرى دورق اللـــبن ذاهبـــة في مـــدق عـــريض ممتـــد بـــين الرمـــال أمـــام الخيمـــة قائلة لهما:

عدليـــة: فوتكـــو بعافيـــة، ألحـــق الغنمـــات قبـــل مـــا تـــنعس كفيـــاك جوزة يا خال الصحة ما عادتش تساعد.

فيجـــذب إبـــراهيم أنفاسًـــا متتاليـــة مـــن جـــوزة النرجيلـــة فاقـــت قرقرته كل شيء قائلًا:

إبـــراهيم: إيـــه؟ هيـــه رايحـــة تحلـــب الغنمـــات لوحـــديها وفي الســـاعة دي!! إيه؟ هيه مش خايفة؟ عجيبة والله.

فيرد عليه العجوز وهو يضع كباية الشاي الفارغة على الصينية متثائبًا بشدة:

عم شلدم: من وين راح يجي الخوف يا أبو الرجال للي اتولد وسط الديابة والوحوش واتربى واتصاحب عليهم وأصبحوا كل دنيته وأهله وحبايبه، أيوه.

فينفجر إبراهيم في الضحك كقنبلة قائلًا:

إبراهيم: ياعيني عليك يا عم شلدم يا حكيم العرب، كلامك كله حكم والله، ليلتك عسل يا عم شلدم، غير الحجر غير

يتناول العجوز الحجر يفرغه مما فيه ثم يحشوه بالحشيش حشوًا ويقول:

عم شلدم: أوامرك يا أبو الرجال، مفيش تعميرة فوق تعميرة عمك شلدم، واللا إيه يا إبراهيم؟

فيجامله بلطف قائلًا إبراهيم: رص براحتك يا عم شلدم ليلتك عسل والله، تسلم يدك يا ملك الكيف في البادية.

ينشغل عم شلدم برص حجر الجوزة بعد حشوه بالحشيش بينما يراقب إبراهيم الفتاة بكل تركيز وهي حاملة الشعلة بيد، ودورق اللبن الفارغ باليد الأخرى، قائلًا في نفسه:

إبراهيم: غزالة!! على النعمة غزالة!! غزالة ومش لاقية اللي يصطادها.

ثم يلتفت إلى عم شلدم فجأة فيجده يغط في النوم وهو ما يزال ماسكًا بحجر الجوزة في يده، فيتحرك إليه بكل هدوء؛ ليرقده في فراشه ثم يضع عليه الغطاء قائلًا في نفسه:

إبراهيم: أحسن حاجة عملتها يا عم شلدم، أتمنالك أحلام سعيدة يا شيخ العرب.

ثم يتسلل من الخيمة بعدما أنام العجوز؛ ليطفئ نيران الكانون بصب الماء صبًا، ثم يتبع الفتاة بخطوات وئيدة على طريق المدق المؤدية إلى حوش الأغنام وهو يهذي بكلمات يتغنى بها كشبح مخيف وسط الظلام..

إبراهيم: كعب الغزال يا متحني بدم الغزال، كعب الغزال يا متحني بدم الغزال، أنا كنت ماشي في الصحرا ومشواري طويل آه، إيه اللي غصبني أروح عندك وأبيع مواويل...

(٧)داخل فيلا أبي هشيمة

أبو هشيمة وسط رجاله أمام حمام السباحة يتمشى ذهابًا وإيابًا وسط صفوفهم متكئًا على عصا ذهبية اللون فضية المقبض الذي يمثل شكل أفعى فارغة الفاه، وها هو يشير إليهم بتلك العصى صارخًا من أعماقه ليشد من أذرهم قائلًا بلهجة النذير:

أبـو هشـيمة: لازم الكـل يعـرف، الكـل لازم يعـرف إن الأيـام الـلي جايـة دي فيهـا أيـام صـعبة جـدًا.. أيـام محـدش عـارف البلـد دي رايحـة فيها لفين ومين اللي حا يركب ومين اللي حايسوق؟؟؟

يتـأبط عصـاه مسـتندًا بيـده الأخـرى عـلى أحـد البـودي جـارد المصـطفين لهـذا اللقـاء كالنسـور.. ثـم بصـوت أقـل حـدة يواصـل قائلًا:

أبـو هشـيمة: فيـه شـوية لخبطـة حصـلت كـده مـع شركائنـا الـلي بـره فرفعـوا أيـديهم عننـا فجـأة وبـدون سـابق إنـذار، وسـابونا لوحـدنا وسـط ديابـة السـوق مـن غـير ضـهر. علشـان كـده الكـل لازم ينتبـه ويخـلي عينيـه وسـط راسـه، لأننـا متـوقعين غـدرهم بينـا في أي وقـت كـل واحـد فـيكم إيـده عـلى سـلاحه وعينـه مـا تغمضـش، وأي حـد غريـب يحـوم حـوالين الفـيلا اضربـوه بالنـار عـلى طـول ومـن غـير تـردد، أقـول تـاني مـن غـير تـردد.. أي حـد غريـب وخاصـة صـاحب الصـورة الـلي قـدامكم دي أو أي حـد شـبيه منهـا افتحـوا النـار عليـه بسرعة ومن غير تفكير.

تبـدو صـورة إبـراهيم بلحيـة طويلـة متـدرعًا بسـلاح أربيچيـه، وهـذه الصـورة مكـبره في شاشـة عـرض كبـيرة ومثبتـة عـلى شـط حمـام السـباحة ومتعـددة الألـوان المتلألئـة في مواجهـة طـاقم الحرس الخاص.

*****

الفصل الحادي عشر

(١)في الصحراء الغربية

إبراهيم ينتهي به طريق المدق إلى مكان منخفض بعمق بين الهضاب تبيت فيه الأغنام مضاء بمصباح زيتي معلق في أحد جوانبه الصخرية الحادة، فيقف بذهول على حافة المكان هامساً في سره لنفسه الساكرة بكل تعجب ويقول لنفسه الساكرة بكل تعجب:

إبراهيم: معقولة اللي أنا شايفة ده؟! بنت بدوية زي فلقت القمر لوحديها وسط شوية غنم ومعيز على وش الفجر، وفين؟ في مكان مقطوع زي ده، مفيهوش صريخ ابن يومين؟! مش غريبة الحكاية دي؟! أكيد فيه حاجة! لازم هناك حاجة كبيرة بتخلي عم شلدم يبعد ببنت أخته عن بقية البدو ويعيشوا لحالهم في المكان ده أكيد فيه شيء، وسر كبير كمان وهوه اللي خلى عم شلدم بعد ما كان عايش وسط عزوته وناسه شيخ قبيلة لها اسمها وتاريخها وكان هو الآمر الناهي فيها أصبح يعيش لوحده ومعاه بنت أخته في مكان يخوف بالنهار أكتر منه بالليل، أكيد.. أكيد فيه سر.

يراقب بعينيه الثاقبة عمل الفتاة معجبًا بها أيما إعجاب وهي جاثية على ركبتيها تحلب شاة، بعد شاة، على بصيص من ضوء المصباح الزيتي

ثم يواصل همساته لنفسه:

إبراهيم: الليلة دي يا قاتل يا مقتول مش حاسيبك أبدأ يا غزال يا متحني ودي فرصتي.

يتجرد من جلبابه وعمامته وزيه الأعرابي، ولم يبقَ له إلا سروالاً يستر عورته، ثم ينظر إلى الخلاء من حوله ومنه إلى الأغنام التي تحت قدميه ثم يطير في الهواء بكل خفة هابطًا من أعلى فوق الأغنام كصخرة تنحدر بفعل الرياح العاصفة فيضطرب المكان اضطرابًا..

هنالك انزعجت النعاج وهاجت الكباش ونبحت الكلاب وصرخت الفتاة صرخة مدوية هزت الأجواء، يندلق دلو اللبن فوق الرمال، يجذبها إليه جذبًا نازعًا غطاء رأسها، تحاول الخلاص منه قائلة:

عدلية: وجعتك مشندلة يا ابن الرفضي، إيه اللي جابك إهنه الساعة دي؟ وجالع خلجاتك إكده ليه يا ابن الحرام؟ وينك يا خال؟ وينك يا خال؟ يا خال إلحجني، يا خال، يا خال، يا خال

لكنه يكتم أنفاسها كتمًا شديدًا جاذبها إليه بيده الأخرى جذبًا يغطيها بجسمه وسط النعاج يلثم خديها وشفتيها بلهفة وشوق بقبلات حارقة.

(٢)سفح الهرم

رجلان أجنبيان يمارسان الشذوذ الجنسي داخل سيارة بدون سقف تحت سفح الهرم على أنغام موسيقى أغنية أجنبية ماجنة. لكن جرس تليفون أحدهما الرعاش يجعله ينخلع من فوق صاحبه بكل ارتباك متحدثًا في التليفون وهو منشغلًا بلبس بنطلونه هامسًا:

رجل (١) : أوكيه.

فيسأله الراقد تحت قدميه

رجل (٢) : وات هابند؟؟؟

فيجيبه مستمرًا في مكانه بصوت هامس قائلًا:

رجل (١) : أوامر عليا بتصفية اللورد خلال ساعات، أوه ماي جاد!!!!.

ينفجرا في الضحك سويًا كقنبلتين.

(٣)في الصحراء الغربية

عدلية فتاة الصحراء المغتصبة تجلس من رقودها؛ لتحثو التراب حثوًا على رأسها صارخة، فتنزعج النعاج والخراف لحزنها.

يهبط من وقوفه راكعًا بين يديها ذليلًا متوسلًا قائلًا:

إبراهيم: سامحيني، أرجوك ارحمي ضعفي، غصب عني ما قدرتش أقاوم جمالك، أوعدك! أوعدك إني قبل ما أمشي من هنا حاكون مصلح كل حاجة، أوعدك.

تحثو التراب على رأسها منهمرة في البكاء والنواح كطفلة تائهة.

(٤)فيلا أبي هشيمة

بينما أبو هشيمة بين رجاله أمام حمام السباحة يشد من أزرهم ويقوي من عزيمتهم إذا بسيارة جيب تتوقف على مقربة منهم فيتوجه إليها بكل ثقل كخرتيت ثائرًا قائلاً :

أبو هشيمة: وعلشان تعرفوا خطورة المجرم اللي بنواجهه جميعًا وعلشان تعرفوا تقدروا حجمه كويس وتتأكدوا إنه أصبح أخطر رجل في العالم دلوقتي بعد ما ترقى لأكبر المناصب السيادية في جماعة داعش الإرهابية، وإنه متدرب على الإجرام تدريبات مكثفة على مدى ربع قرن من الزمان يبقا لازم تشوفوا

بعيونكم إيه اللي جوه العربية الجيب دي... ثم يصيح غاضبًا بأعلى صوته والحزن يمزقه.

أبو هشيمة: افتحوا باب العربية دي، افتحوا الباب، افتحوا الباب.

(٥) في الصحراء الغربية

عدلية فتاة الصحراء المغتصبة تقف في إعياء كوردة ذابلة حال كونها تلتقط أنفاسها الهاربة منها بكل جهدها قائلة باكية:

عدلية: بكرة الصبح تروح لشيخ الجبيلة وتجيبه على يدك علشان يعجد علينا وتتجوزني على يده وأنا حاخلي خالي يفهمه إنك واحد من جرايبنا بتوع [بني سليمان]، وإنك جاي تندس حدانا يومين بعدما أخدت بتار عمك من ولاد عوضين.. خلص الكلام.. وما عاد شي فيه منه.

تحبس آهاتها وهي تخمر وجهها بخمارها متوعدة:

عدلية:

فاهمان يا جليل الأصل؟؟ من لحظة طلوع الشمس تطلبني من خالي وتفهمه إن جوازك مني أوامر عليا ولازم تنفذها، وتاخده على يدك وتجيبوا شيخ الجبيلة وإلا ورحمة بوي أوزع جتتك جزل، جزل، على ديابة الجبل وما حدن يعرفلك بعد النهارده طريق جره خلاص، خلص الكلام إيش جولك؟ انطق...

فيقف واثبًا بمكر الثعالب مراوغًا لها ويقول:

إبراهيم: أنا تحت أمرك وكل أوامرك مجابة.. بس اصبري عليا، اصبري، عليا يومين.. يومين وبس أكون اجتمعت بمشايخ القبائل وضمنت مساعدتهم لي في نقل السلاح، ساعتها يا ستي حاعملك أحلى فرح ما حصلش ولا حايحصل فيك يا صحرا من بعده.

فترفع بصرها اللامع إلى السماء الصافية متنهدة من أعماقها قائلة:

عدلية: ربنا شاهد ووكيل إن ما صلحتش غلطتك السودة دي بعد اليومين اللي حددتهم اللي حايسويه ربنا فيك حايكون، فاهمان، فاهمان يا جليل الأصل؟؟؟؟

تحدقه بنظرة قاتلة ثم تبصق على وجهه قائلة:

عدلية: الله ينعلك في كل كتاب، يا نجس، يا عميل.

تندفع جارية إلى أعلى ذليلة ضعيفة حال صعودها من مكان الأغنام في طريقها إلى الخيمة حتى غابت عنه، وهو ما يزال يراقبها بناظريه كأن روحه فارقت جسمه، فيصرخ متأوهًا، من أعماقه، فتتخلى قدماه عن حمله فيهوي كالشبح وسط الأغنام يبكي ويتباكى كطفل رضيع.

(٦)فيلا أبي هشيمة

أبو هشيمة يتفحص بنظره الحاد جثث رجاله المفروشين على ظهورهم أرضًا متجاورين بجوار السيارة الجيب الواقفة أمام مجمع الرجال.

يعتدل في وقفته، ناظرًا إلى القوم متحسرا ترتسم على جبهته علامات الخيبة واليأس قائلًا بكل انكسار:

أبو هشيمة: دول كانوا أحسن قناصة عندي، وماكونتش باسند ليهم إلا المواقف الصعبة والمهام الخطيرة.. بدران وزمايله الثلاثة كانوا على أعلى تدريب وعلى أعلى كفاءة بعتهم يخلصوني منه قام خلص عليهم ومش كده وبس لا!!.....

ثم يفتح باب السيارة الجيب بكل عنف فتبدو أشجان بداخلها جثة هامدة غارقة في دمائها، ثم ينفجر من غيظه كالبركان قائلًا:

أبو هشيمة: ده حتى ماطمرش فيه العشرة والعيش والملح قام مخلص كمان على البنت الغلبانة اللي طول عمرها بتخدمه وعاملة له خدها مداس، وده كله ليه؟ طبعًا علشان ما تبلغش عنه، أكيد.

الناس من حوله في حالة زعر وخوف تبدو على وجوههم ونظرات عيونهم ثم يصيح صياح المستغيث اليائس من النجاة قائلًا:

أبو هشيمة: ينفع كده يا ناس!! أجيب مين يخلصني منه؟ أجيبله مين؟ مين؟!

(٧)في الصحراء الغربية

إبراهيم مجتمع بمشايخ القبائل تحت ظل النخيل في مكان مخصص للاجتماعات على مقربة من خيمة عم شلدم يتبادلون أطراف الحديث من بعيد فلا يسمع لهم صوت.

بينما تنشغل عدلية بكل كيانها بشواء أربعة من الماعز على نيران الفحم الملتهبة بكل مهارة، تبدو عيناها من خلف الوشاح البدوي مليئتين بالحزن حريصتين على الانتقام.

(٨)فيلا أبي هشيمة

أبو هشمية في قمة توتره وقلقه وخوفه حال تحدثه في تليفونه المحمول وهو يتمشى حول حمام السباحة الممتلئ بأجنبيات عاريات وحرسه الخاص كالنمل حول قطعة من الحلوى يتفننون كعادتهم في حراسته، وها هو يضطرب من داخله كموج البحر قائلًا وهو يحاول أن يتمالك نفسه:

أبو هشيمة: يا معالي الوزير: يا أفندم أنا متأكد من كل كلمة بقولها لسيادتك، أؤكد لمعاليك إنه لحد دلوقتي ما خرجش من المنطقة العشوائية اللي بلغت حضرتك بيها، أيوه يا أفتدم أنا متأكد، يا أفندم احنا نواب الشعب، وأمن وسلامة المواطن المصري فوق أي اعتبارات. أهم حاجة دلوقتي إنكم تحاصروا المنطقة دي من دلوقتي وتفتشوها شبر شبر لغاية ما تقبضوا عليه وتسلموه للعدالة.. يا لا يا سيادة الوزير مفيش وقت.. الوقت مش في صالحنا، دم شهدائنا في رقبتنا جميعًا، كل دقيقة بتمر والسفاح ده هربان فيها خطورة على حياة الأبرياء، يا أفندم هوه بعينه، لساه حي ما ماتشي، يا معالي الوزير أقسملك إنه هوه، هوه، بعينه، هوه بشحمه ولحمه (أبو حمزة المهاجر) بتاع جماعة داعش الإرهابية إلحقوه قبل ما يهرب. بسرعة يا أفندم، أرجوك.

ينهي المكالمة ملقيًا بنفسه بكل ثقله فوق كرسي هزاز في مواجهة حمام السباحة مسترخياً بظهره للخلف متنفساً الصعداء من أعماقه قائلًا في سره لنفسه :

أبو هشيمه: بكره الصبح حاعمل استجواب في المجلس لوزير الداخلية، لازم الوزارة تقب وتغطس ويجيبوا ابن الكلب ده!! قبل ما ينفذ تعليمات الأمريكان الأخيرة، لازم يتقبض عليه خلال ساعات. لازم وإلا كل شيء معرض للانهيار.

يأتي رئيس الحرس إليه ليخرجه من شروده قائلًا:

كله تمام يا باشا تعليمات سيادتك اتنفذت بالحرف، زودنا كاميرات المراقبة داير ما يدور حوالين الفيلا وركبنا بين كل كاميرتين ثلاث كاميرات. تقدر سعادتك تروح وتشوف كل حاجة بنفسك. فيتوقف بكرسيه الهزاز واقفًا بقامة قصيرة ممتلئة مشيرًا بسبابته متوترًا..

أبو هشيمة: السطح، أهم حاجة السطح، مش بعيد أي طيارة هليكوبتر ترميه لي فوق السطح وأبص آلاقيه في غرفة نومي، عايز قناصة ثلاثين قناص على أعلى مستوى أعمل لهم ثلاث ورديات في الأربعة والعشرين ساعة كل عشرة منهم يغطوا السطح وردية.

(٩)في الصحراء الغربية

إبراهيم ينهي اجتماعه بمشايخ القبائل واقفًا في مجلسهم بكل كبرياء القادة.. يبدو في زي الأعراب كواحد منهم قائلًا محاكيًا لهجتهم بكل تركيز:

إبراهيم: من هالحين ما حدن يذكر شيء في اللي اتفجنا عليه، خلاص يا عرب مات الكلام.

فيقف عم شلدم بقامته القصيرة معربًا عن إعجابه بشهامة إبراهيم فيثني عليه خيرًا أمام الجميع قائلًا:

عم شلدم: أنت نعم الرجال يا أبو حمزة، أنت رمز البطولة والشهامة والإخلاص، لكم الفضل بعد الله في تدريب شباب الأرض المحتلة على المقاومة وصد العدوان، حفظكم الله يا أبو حمزة.. من هالحين كلنا معاك وفداك واللا إيش الجول يا رجال؟ إيش الجول تجولوا؟

الحناجر تهتف متحدة في حماس:

مشايخ القبائل: نعم الجول جولك يا شيخ العرب، ومن هالحين كل رجال البادية معاكم وفداكم وتحت طوعكم، كلنا فداك يا أبو حمزة.

إبراهيم ينحني لمشايخ القبائل، ثم يعتدل واقفًا واضعًا يديه على كتف عم شلدم قائلاً بكل دهاء ومكر وبصوت الواعظ:

إبراهيم: ده أجل واجب يا مشايخ، أنا واللي معايا أرواحنا فداء لأرض العرب، ما حدن يرضى بما يفعله جنود الاحتلال في البلدان العربية ما حدن يرضى بذلك، ولا حدن يرضى بتهويد القدس أبداً ما حدن يرضى بذلك ما حدن يرضى ..

فتهتف الحناجر بكل حماس قائلة:

مشايخ القبائل: ما حدن يرضي.. ما حدن يرضي.. ما حدن يرضي.. ما حدن.

ثم يستأنف إبراهيم كلامه متقمصًا دور الواعظ قائلًا:

إبـــراهيم: خـــلاص يـــا مشـــايخ وزي مـــا أتفجنـــا الليلـــة وجبـــل الفجـــر بســـاعة تبعتـــولي الشـــباب والجمـــال في المكـــان الـــلي حـــددناه، واتفجنـــا عليـــه، مـــن هـــالحين كـــل حتـــة ســـلاح في مخـــزن الكـــافر أبـــو هشـــيمة خـــلاص بجـــت مـــن حـــج شـــباب المقاومـــة في فلســـطين وســـوريا والعراق واليمن وأفغانستان.

فينـــتفض جمـــع الرجـــال واقفًـــا وبصـــوتٍ متحـــد تهتـــف حنـــاجرهم بكل حماس قائلة:

مشـــايخ القبائـــل: حفظـــك الله يـــا أبـــو حمـــزة يـــا حـــامي حـــمي العـــرب، نعم الرجال أنتم، أنتم نعم الرجال.

فيشـــير إلـــيهم عـــم شـــلدم بيـــده القصـــيرة وهـــو منشـــرح الصـــدر مبتسمًا قائلًا:

عم شلدم: الوكل يا رجال اتفضلوا.

*****

الفصل الثاني عشر

(١)فيلا أبي هشيمة

أبو هشيمة يجتمع بطاقم حراسته الخاص تحت تكعيبة العنب بحديقة الفيلا يلتمس منهم هدوء روعه، وسكينة قلبه، ومسددًا لهم بعض النصائح والتوصيات..

ها هو يختبئ في جلسته من كل خوف وتوتر وقلق واضعًا ساقًا على ساق، يتظاهر بالقوة بينما الخوف يقتله يمسك برابطة عنقه من وقت لآخر بأنامل مرتعدة ثم يقول باضطراب وبصوت ممزق الأحبال:

أبو هشيمة: بعتنا فاكس لأكبر شركات الأمن والحراسة في العالم طلبنا منهم طاقمين حراسة على أعلى مستوى طقم حايفضل معاكم هنا والتاني حايتوزع على الشركات، ده غير القناصة اللي حاتجيلنا آخر الشهر من روسيا.

وطبعا وزي ما أنتوا عارفين إن [أبو حمزة المهاجر] مأجور من الأمريكان علشان يخلص عليا، علشان كده قدرت اتغدا بيه قبل ما يتعشا بيه علشان كده لازم موته يبقا على إيديا ودلوقتي قبل كمان شوية، علشان كده لازم موته يبقى على ايديا ودلوقتي قبل كمان شوية، علشان كده وزي ما دايمًا بقولكم إنه لازم كل واحد

فيكم يخلي باله وينتبه كويس ويحط عنيه في وسط راسه ولو نملة هوبت ناحية سور الفيلا افتحوا النار عليها وبدون تردد، بدون أدني تردد.

فيتقدم أحد حراسه خطوة واحدة فيكون بين يديه، يعتدل في وقفته ماسكًا بسماعة أذنه قائلًا بكل وقار:

أحد الحراس: بعد أذن معاليكم، معاليكم تسرعتم في إبلاغ الوزارة عن المجرم الهارب، وعن مكانه، وصرحتم باسمه الحقيقي.

يرتبك أبو هشيمة واقفًا في محاولة منه ليزرر جاكتته بيده المرتعشة متمشيًا أمام أفراد الحراسة قائلًا بلهجة المنتصر:

أبو هشيمة: لو قدروا يوصلوا له في مكانه، من بكره الصبح وزارة الداخلية حاتعملي تمثال من ذهب ويحطوه في ميدان التحرير، ودي لوحدها حاتبقى ضربة قاتلة للأمريكان لأن القبض على إرهابي خطير حجم أبو حمزة ده لوحده كفيل إنه يربك حياة الأمريكان، ويطير النوم من عيونهم ده غير إن الآمال اللي كانت معقودة عليه في فتنة الشعوب العربية وخرابها حاتصبح سراب وساعتها لو إجراءات إعدامه طولت شوية في مصر حايبعتوا اللي حايخلص عليه وقبل ما ينطق بكلمة واحدة. علشان يضمنوا إن أسرارهم تندفن معاه زي ما اتخلصوا من [أسامة بن لادن] لما اختلف معاهم. أما لو ما قدروش يوصلوا له أو راحوا هناك

ومـــالقوش حـــد، مـــا حـــدش فـــيهم يقـــدر يتجـــرأ ويتهمـــني بـــالبلاغ الكاذب وماتنسوش إن البلد لسه حالة طوارئ.

اســـتانف أحـــد الحـــراس كلامـــه موضـــحًا وجهـــة نظـــره قـــائلًا بكـــل وقار:

أحـــد الحـــراس: يـــا أفنـــدم أرجـــوك أفهمـــني أنـــا مـــش قصـــدي كـــده خـــالص، أنـــا كـــان قصـــدي حيســـألوا إيـــه علاقتنـــا بـــالمجرم ده ونعرفـــه منـــين؟؟ وعرفنـــا مكانـــه إزاي؟ وليـــه إحنـــا متأكـــدين إنـــه عـــايش لســـه مـــا مامـــاتش طـــب ليـــه مبلغنـــاش عنـــه قبـــل كـــده ؟ ليـــه مبلغنـــاش عنـــه قبـــل كـــده؟ طـــب إيـــه مصـــادر معلوماتنـــا عنـــه؟ عرفنـــا عنـــه كـــل ده إزاي؟ وســـين وجـــيم وإحنـــا في الوقـــت الحـــالي موقفنـــا صـــعب وكـــل شركائنـــا بيفكـــوا مننـــا واحـــد بعـــد التـــاني كـــأنهم كـــانوا مشـــاركينا لمـــا كانـــت أمريكا مشاركانا واللا إيه يا أفندم؟

فيهـــبط الرجـــل جالسًـــا عـــلى مقعـــده ضـــاربا جبهتـــه براحـــة يـــده اليمـــنى بينمـــا يفـــك زرار جاكتتـــه بأصـــابع يـــده اليســـرى، ثـــم يهمـــس قائلًا متذكرًا شيئًا:

أبو هشيمة:.

يـــا آدي المصـــيبة!! يـــا آ دي المصـــيبة الســـودة، دا أكيـــد لنـــدا حكـــت لهـــم عـــلى كـــل حاجـــة، إزاي تجاهلـــت خصـــومتي معاهـــا؟ أنـــا نســـيت إن أنـــا وهيـــه بقـــا بينـــا قضـــايا ومحـــاكم!! دي أكيـــد وقعـــت بيـــني وبـــين القيـــادات السياســـية، ومـــش بعيـــد تكـــون قـــدمت لهـــم

المستندات اللي معاها، أكيد، أكيد، عملت كده دول أمريكان، والأمريكان في طبعهم الخيانة. أنا الظاهر إني اتسرعت.. ربنا يستر.

(٢)في الصحراء الغربية

إبراهيم وعم شلدم يودعان مشايخ القبائل وهم ينطلقون كالريح المرسلة..

إبراهيم وعم شلدم: في رعاية الله وحفظه، وجزاكم الله خيرًا.

وما إن غابت عن أبصارهما خيولهم بفعل ما تخلفه حوافر تلك الخيول من أتربة كثيفة كأدخنة المصانع حتى عادا قافلين إلى مكان الاجتماع وما فيه من أثار وبقايا الأطعمة والمشروبات وكرم الضيافة ومع عودتهما يعلق عم شلدم متكئًا على عصاه قائلًا بلهجة الناصح الحكيم:

عم شلدم : شد حيلك يا أبو الرجال وأنجز مهمتك بسرعة، بسرعة أنجز مهمتك، أيوه ولا تنس إنك مطلوب، بجد أنت مطلوب، أيوه وزي ما أنت واعي الجبايل كلها رهن إشارتك وأصبح ما ينقصك شي، ما ينقصك شيء يا وليدي، طلبت مية من الشجعان حايبعتولك متين من أشجع الشجعان أيوه من أشجع الشجعان، شد الحيل والهمة والعجلة، العجلة يا وليدي، اتغدى بيهم جبل ما يتعشوا همه بيك أيوه.

فيرد عليه متنفسًا الصعداء من أعماقه كمن ألقى بصخرة من على صدره ويقول متنهدًا:

إبـراهيم: آه! لسـاه الحمـل تجيـل يـا عـمي، لا تنسـانا مـن دعائـك يـا شـيخ العـرب، ادعي إن كـل شيء يـتم زي مـا أنـا راسـم في خيـالي، يـاللا خلينـا نحـرر القـدس، ونوحـد صـفوف سـوريا، ونقضـي عـلى الفـتن في اليمن والسودان، ونجيب حق العراق، أه..

يتوقـف عـن المشـي رافعًـا ذراعـه الأيمـن إلى أعـلى مكـورًا قبضـته عاضًا على أنامله غيظًا وهو يقول بحرارة:

إبـراهيم: نفسـي يـا عـمي أجيـب حـق كـل واحـد عـربي اتهانـت كرامتـه، وكـل بلـد عـربي انداسـت بجـزم الأوبـاش، نفسـي أوحـد العـرب تحـت رايـة واحـدة زي مـا كـانوا أيـام صـلاح الـدين، نفسـي أحقـق ده، وبحلـم بيـه، عشـان سـاعتها مفـيش قـوة في العـالم حاتقـدر تنافسـنا أو تدوسلنا على طرف.

ينشرح صدر عم شلدم بهذا الكلام ويرد عليه قائلًا:

عـم شـلدم: ربنـا يـا ولـدي يقـوي عزيمتـك ويحققلـك هـدفك وينصـرك عـلى أعـدائك ويجعلـك دايمًـا سـند للعـرب في كـل مكـان، اللهم آمين.

فينحني إبراهيم على رأس عم شلدم؛ ليقبله وهو يقول:

إبـراهيم: ربنـا يباركلـك يـا راجـل يـا طيـب، ويجعـل كـل الـلي عملتـه في ميزان حسناتك يوم القيامة.

تبدو عدلية من خلف جزع شجرة نخيل وهي قابضة على سهم في قوس لها تحاول تسديده إلى ظهر إبراهيم بكل عناية وتركيز وشرار الغضب يتطاير من عينيها الملتهبتين من خلف الوشاح.

ها هي تحكم مسك القوس على صدرها جاذبة السهم إلى الخلف بكل عنف ثم تطلقه مسددة إياه إلى ظهر إبراهيم وهو يعتدل في وقفته بعد تقبيله لرأس عم شلدم.

لولا أنه لمحها بطرفه فانبطح أرضًا صائحًا:

إبراهيم: "يا بنت المجنونة"!!

لكن السهم أصاب عم شلدم في قلبه فارتد قتيلًا في الحال.

أدرك إبراهيم الخطر ففر هاربًا كالثعلب وهو يقول:

إبراهيم: أديك قتلتي خالك الله ينعلك!!

ألقت القوس من يدها مهرولة إلى خالها الغارق في دمائه جثة هامدة نائحة باكية كطفلة ماتت عنها أمها قائلة:

عدلية: "ياويلي.. يا خرابي.. سامحني يا خال.. آه"..

يمتطي إبراهيم جوادًا بسرعة ومهارة حال انشغال عدلية بخالها المقتول؛ لينطلق به في متاهة الصحراء مخلفًا وراءه غبارًا كالضباب. فتنتبه عدلية لهروبه فتنتفض واقفة لتراقبه بوجهها

البـاكي بـلا حـول لهـا ولا قـوة، ثـم تـدور برأسـها؛ لتقـع عـلى الأرض مغشيًا عليها بجوار جثة خالها قائلة بهذيان:

عدلية: "ابن الكلب العميل"..

(٣)فيلا أبي هشيمة

أبـو هشـيمة متمشـيًا حـول حمـام السـباحة الممـتلئ بأجنبيـات عاريات وحرسه الخاص يبذلون أقصى جهدهم لحراسته.

هـا هـو ينفجـر مـن داخلـه كبركـان حـال تحدثـه في تليفونـه المحمول بواسطة سماعة قائلًا بكل توتر وانفعال:

أبـو هشـيمة: أرجـوك يـا دولـت بلـيز مـن فضـلك ابعـدي نفسـك أنـتي ورنا عن أي مشاكل تخص شغلي مع الأمريكان!!...

يا ستي تكتب اللي تكتبه ما أنتي عارفه لندا أكتر مني!

يـا سـتي تقـول الـلي تقولـه إحنـا واخـدين عـلى أسـلوبها ده مـن زمان!!

دولـت، أرجـوك خـلي بالـك مـن رنـا ومـاتفكروش في أي حاجـة غـير حياتكم اللي هناك فاهماني؟!!

وسـيبوني هنـا في مصـر أصـفي بطـريقتي حسـاباتي معـاهم.. ألاعـبهم ويلاعبوني.

(٤)في مطار القاهرة

إبراهيم في صحبة (مس لندا) حال مغادرتهما مطار القاهرة، فيصعدان في رشاقة الغزلان سلم الطائرة عندما ينطلق صوت المنادي عبر مكبرات الصوت قائلًا:

الصوت: تعلن شركة مصر للطيران عن قيام رحلتها رقم اثناشر المتجهة إلى نيويورك.

تتوقف (لندا) ناظرة خلفها من خلال نظارتها الشمسية العاكسة لأشعة الشمس إلى طاقم حراستها المحدق بسلم الطائرة قائلة:

لندا: استوب. كفاية لغاية كده، عودوا إلى الشركات وفتحوا عيونكم، كثير كثير وزي ما فهمتكم مستر أبو هشيمة ده خلاص مش بتاعنا، خلاص مش شريك، إن راح شركات بتاعتنا تاني اقتلوه.

يتقهقر الحراس في سرعة ونظام دون تعليق.

تستدير بوجهها ناحية باب الطائرة؛ لتستكمل مع إبراهيم صعود السلم قائلة بكل دهاء ومكر:

لندا: اتفضل يا إبراهيم بيه طيارة نيويورك في انتظارك.

تتشابك أيديهما وهما يصعدان سلم الطائرة قائلة له وهي تبتسم:

لندا: كله تمام؟ واللا ايه!

فيرد عليها جاذبها إليه بروح الفرح والانتصار:

إبراهيم: زي ما رسمتي بالظبط. أنتي أخطر امرأة في العالم..

يدخلان إلى الطائرة وهي تقول بالإنجليزية:

ليندا: نوه، نوه، نوه أيام أجريت وومان إن ذا وورليد.

(٥)منطقة المقابر

العشرات من الإبل بصناديق الأسلحة والذخيرة تشق طريقها المظلم بين المقابر، لكل منها قائد يقودها بكل هدوء وسكينة ونظام.. لكن صوتًا حادًا يستوقفهم فجأة:

الصوت: اسمعوا يا رجال رسالتي إليكم قبل الرحيل، أبو حمزة يبلغكم إن حمولة كل واحد فيكم من الأسلحة والذخيرة أصبحت حق مكتسب له هي حلال حلال عليه، له حق التصرف فيها لوحده يااللا آن لكم أن تحموا أموالكم، وآن لكم أن تحموا أعراضكم، وآباركم، يااللا كل واحد فيكم ياخد حمولته على مكانه في الصحرا حلال عليكم.

تتحد أصوات الرجال فرحين:

الرجال: ربنا يكرمه ويباركلنا فيه، ويحفظه للإسلام والمسلمين.

فيعاود الصوت بنفس درجة الحدة ليقول الصوت: سيروا على بركة الله، الله معكم.

ثم آمرًا من حوله:

الصوت: صبوا البنزين وأشعلوا النيران مش عايز أي أثر للمخزن ده ياللا يا رجال الهمة يا رجال، الهمة يا رجال الهمة.

(٦)حجرة نوم أبي هشيمة.

أبو هشيمة في سريره يغط في نومه كالمستسلم لقدره - لكن جرس تليفونه المحمول – يقلقه فيتناوله بيد مرتعشة متثائبًا مرتديًا نظارته ذات السلسلة الفضية ثم ناظرًا إلى شاشة التليفون فتمتلكه حالة من الرعب وهو يشعل أنوار الحجرة ويرد بلجلجة قائلًا:

أبو هشيمة: آلوه، تحت أمر معاليكم.

ثم يلقي بنفسه في الشرفة المواربة بابها مواصلًا حديثه قائلًا بكل توتر وقلق:

أبو هشيمة: يا أفندم دي مؤامرة، مؤامرة أتعملت ضدي أؤكد لسعادتك إنها مؤامرة، الأمريكان يا أفندم من مصلحتهم تدبير المؤامرات وإشعال الفتنة في أي بلد عربي مستقر، وسعادتك عارف كده كويس.

(٧)منطقة المقابر

حملة عسكرية من قوات الجيش والشرطة تتوقف بسياراتها المتعددة على شكل مربع ناقص ضلع عند مخزن (أبو هشيمة) الذي ما تزال النار تأكل جدرانه أكلًا.

أحد ضباط الحملة ينزل من سيارة جيب متحدثًا في جهاز لاسلكي قائلًا:

الضابط: آلوه، عمليات آلوه عمليات، هل تسمعني؟ هل تسمعني ؟ حول ..

فيأتيه الصوت عبر الجهاز رادًا عليه:

الصوت: أسمعك بكل وضوح، حول.

فيواصل الضابط حديثه عبر الجهاز اللاسلكي قائلًا:

الضابط: القوات تحاصر المكان لكن النار تشتعل فيه من كل جوانبه، النار كثيفة جدًا يا أفندم. حول.

فيرد عليه الصوت عبر الجهاز اللاسلكي قائلًا:

الصوت: اسحب القوات فوًرا. حول.

الضابط: علم وسينفذ حالا يا أفندم، حول.

(٧)حجرة نوم أبي هشيمة

أبو هشيمة في شرفة حجرة نومه ما يزال مدافعًا عن نفسه من خلال تليفونه المحمول قائلًا بكل توتر كتلميذ فاشل قد رسب في الامتحان:

أبو هشيمة: يا أفندم إديني فرصة أكمل كلامي لو سمحت، يا أفندم اسمعني للآخر، سيادتك عارف إن مش كل اللي بينتشر على النت يبقا حقيقة مسلم بيها، وزي ما قولت لسيادتك يا أفندم دي مؤامرة واتعملت ضدي من ساعة ما فضيت الشركة اللي بيني وبين الأمريكان، هي دي الحقيقة يا أفندم، ما هي حاجة واضحة زي الشمس وكل شيء كان متوقع يا أفندم، أرجوك صدقني هيه دي الحقيقة يا أفندم أرجوك اسمعني، اديني فرصة أكمل أرجوك. إسمعني أرجوك يا أفندم آلوه، آلوه..

(٩)مدخل وزارة الداخلية

المكان أمام مبنى الوزارة في حركة ونشاط. سيارات شرطة تأتي متوقفة.. وأخرى تنطلق صارخة.. أفراد الأمن في قمة الانضباط.. يأتي صوت كالرعد من إحدى النوافذ المفتوحة ليتلو إشارة تليفونية تسمع بكل وضوح، ولكن لا يرى مصدرها.

الصوت: إلى جميع مديريات الأمن في الجمهورية إغلاق جميع مداخل ومخارج المحافظات، وتوزيع صورة الإرهابي أبو حمزة المهاجر على جميع الأكمنة والطرق ونقاط التفتيش.

(١٠)مكتب النائب العام

أبو هشيمة ينفجر من داخله كالبركان ضاربًا براحة يده الثقيلة مكتب النائب العام واقفًا من جلوس هائجًا كالثور وهو يقول:

أبو هشيمة: أنتوا أكيد اتجننتوا.. مؤكد جرا لعقولكم حاجة، بقا أنا أبو هشيمة اللورد وبعد كل اللي عملته عشان البلد دي، تستدعوني بحتة ورقة وتستجوبوني زي المجرمين في حاجات قديمة ماعليهاش دليل واحد ضدي، أنتوا ناسيين أنا مين ولا إيه؟ هو أنا شوية في البلد دي! دي مؤامرة واتعملت عليا وأنتوا كده بتشاركوهم فيها، أيوه بتشاركوهم فيها!!..

لكن أحد كبار المحامين من حوله يقف مهدئًا من ثورته قائلًا له بلهجة الناصح:

كبير المحامين: هدي نفسك يا باشا، أرجوك هدي نفسك، إجراءات استدعاء سيادتك لمبنى النيابة العامة كلها قانونية ودي مجرد تحقيقات أولية، لسه الوقت معانا. لكن أبا هشيمة يضطرب من داخله كالنار مواصلًا.

أبو هشيمة: "عملوني كبش فدا ولاد الـ...".

لكن النائب العام يستدير له بكرسيه المتحرك مشيرًا إليه بسبابته قائلًا له بكل هدوء وثقة وشيء من الكبرياء:

النائب العام: مفيش حد فوق القانون يا أبو هشيمة، مفيش حد فوق القانون. واللي حضرتك لسه ما تعرفوش؛ إنه صدر قرار ضدك بإقالتك من عضوية مجلس النواب، وسحب الثقة منك امبارح بعد ما فضايحك انتشرت على النت بكل الأدلة والقرائن فاهم يا أبو هشيمة؟؟؟

لم يتحمل أبو هشيمة الصدمة فيهبط من وقوفه على المقعد مغشيًا عليه.

أبو هشيمة: آه...

فيحدق به محاموه الستة منزعجين متوترين:

كبير المحامين: سيارة إسعاف بسرعة يا سيادة المستشار. أرجوك يا أفندم.

الفصل الثالث عشر

(١)١داخل إحدى المستشفيات

يبدو أبو هشيمة فوق سريره بغرفة العناية المركزة من خلف زجاج الحجرة كجثة منتفخة، كما تبدو أشرقت مديرة أعماله في قمة الانهيار غارقًة في دموعها على مقعد في مواجهة غرفة العناية المركزة تبكي وتتباكى وتنتحب.

(٢)مكتب وزير الداخلية

وزير الداخلية يترأس اجتماعًا أمنيًا في مكتبه لكبار قيادات الأمن بالوزارة بنظرات القلق والخوف يحوط المجتمعين وهو يتحدث إليهم بلهجة المهموم قائلًا:

الوزير: "السيد رئيس الجمهورية بصفته الحاكم العسكري أصدر صباح اليوم قرارًا جمهوريًا بتطبيق قانون الطوارئ على كافة أنحاء الجمهورية، وطبعًا حضراتكم عارفين الظروف الأمنية اللي من أجلها اعتمد سيادته قرار مهم زي ده علشان كده إحنا النهارده مجتمعين علشان نناقش الخطة الأمنية اللي وضعتها الوزارة والتي يتم تطبيقها من اليوم على مستوى الجمهورية والتي تهتم بالدرجة الأولى بهذا القانون، وطريقة

تفعيله، للمحافظة من خلاله على أمن الأفراد والمنشآت وفي نفس الوقت من غير خدش لكرامة المواطن المصري اللي عانى كتير جدًا الفترة اللي فاتت من تطبيق هذا القانون".

(٤) في المستشفى

أشرقت ما تزال في مجلسها أمام غرفة العناية المركزة بالمستشفى تبكي، وتتباكى، ويتقطع فؤادها ألمًا على ما أصاب (أبو هشيمة) من سوء.

لكن كبير المحامين ينسحب من صحبته حال وقوفهم أمام غرفة العناية المركزة يتبادلون أطراف الحديث، متجها إليها بكل هدوء مهدئًا من ثورتها قائلًا لها بكل حكمة واتزان ناصحًا:

كبير المحامين: "ارحمي نفسك يا أشرقت هانم أرجوك يا أفندم ماتعمليش في نفسك كده اطمني سعادتك الباشا بتاعنا بخير والحمد الله لسه الدكاترة مطمنيني على صحته، نصيحتي ليك اتصلي دلوقتي بزوجته وبنته ييجوا يراعوه ويقفوا جنبه في أزمته، هما أولى بيه دلوقتي من أي حد تاني، وأنتي كتر خيرك وكفايه عليكي لحد كده. نصيحتي ليك لازم تخلعي زي اللي خلعوا، لازم تحاولي تبعدي نفسك عنه الأيام اللي جايه دي بدل رجلك ما تيجي في حاجة كده واللا كده".

فترفع إليه وجها شاحبًا غارقًا في الدموع مندهشة فيناولها منديلاً قائلًا:

كبير المحامين: كل اللي حواليه عملوا كده دلوقتي حتى حرسه الخاص، الكل قال: يا للا نفسي.

ثم يستطرد قائلًا بشيء من الثقة:

كبير المحامين: "اطمني يا هانم محدش من الحكومة يقدر يعمل في اللورد حاجة، الباشا بتاعنا مأمن نفسه كويس، وعامل حساب اليوم ده، همه كل اللي كانوا عايزينه إقالته من المجلس، وتسويء سمعته، وتقليب الرأي العام عليه، وقدروا ينجحوا في كده وينجحوا بجدارة ".

يعتدل في وقفته شاردًا بنظره إلى ذلك الرجل الغائب عن وعييه من خلف زجاج غرفة العناية المركزة ثم يواصل متنهدًا بغضب ويأس :

كبير المحامين: "هيه الحكاية كلها حكاية أمريكا وإسرائيل من ساعة ما الباشا بتاعنا قرر وقف تصدير الغاز لإسرائيل والدنيا كلها قامت وماقعدتش إزاي شركته ترفض تجديد عقد تصدير الغاز لإسرائيل وتتعاقد مع بلاد ثانية تصدر لها الغاز، والبلاد دي أصلًا أعداء لإسرائيل، ومن النقطة دي اتدخلت أمريكا وبدل ما تكون واسطة خير كانت السبب في كل المشاكل وقدرت تستخدم

عملاءهـــا مـــن [جماعـــة داعـــش] وغـــيرهم لإحـــداث الفـــتن في الـــبلاد العربية".

يســـتدير لهـــا بوجهـــه جـــاعلًا ظهـــره لبـــاب غرفـــة العنايـــة المركـــزة ثـــم يواصل قائلًا:

كبـــير المحـــامين: إنمـــا تقـــولي قضـــايا ومحـــاكم مـــا أظـــنش لأنهـــم متـــورطين معـــاه ويمكـــن أكـــثر شـــوية ، همـــا كـــل الـــلي يقـــدروا يعملـــوه معـــاه إنهـــم يحـــددوا إقامتـــه في فلتـــه الـــلي في المقطـــم ويحجمـــوا أنشطة بعض شركاته.

ينحني بقامته مادًا لها يده قائلًا بهدوء تام:

كبـــير المحـــامين: "يـــاللا يـــا أفنـــدم دور حضـــرتك انـــتهى لغايـــة كـــده.. أنصـــحك تخـــتفي عـــن الأنظـــار الأيـــام الـــلي جايـــه دي.. يـــا عـــالم حـــايبقى فيه إيه"؟

تســـير معـــه وهي تجفـــف دموعهـــا فيســـندها بذراعـــه مواصـــلًا كلامه قائلًا بلهجة الناصح الأمين:

كبـــير المحـــامين: "يـــا ريـــت حضـــرتك تســـافريلك يـــومين لأي بلـــد عـــربي تـــريحي أعصـــابك، ومـــن هنـــاك تقـــدري تـــراقبي المشـــهد وأنـــتي في منتهى الأمان لغاية ما أبعتلك وأكيد حابعتلك".

تتوقـــف عـــن الســـير؛ لتطيـــل النظـــر إلى عينيـــه كمـــن تبحـــث عـــن جـــواب فيهمـــا، ثـــم تنفجـــر في البكـــاء ملقيـــة برأســـها فـــوق كتفـــه،

يحتضنها بشوق وحنان، ثم يربت بيده على ظهرها ويواصل قائلًا بكل ثقة:

كبير المحامين: "اطمني يا أشرقت هانم، أنتي في أمان الأمان مفيش حد يقدر يهوب ناحية أملاكك ولا يمس شعرة منك طول ما أنا معاكي، اطمني وحطي في بطنك بطيخة صيفي، كل أمورك على ما يرام، عقد زواجك العرفي من أبو هشيمة بيه، الحمد لله قدرنا نوثقه في الشهر العقاري، وكل أملاكك اللي كتبهالك بعيدة كل البعد عن أي صدام مع الحكومة ومالكيش شريك فيها اطمني وسافري وأنتي مطمئنة وخلينا دايمًا على اتصال، دايمًا نبقى على اتصال".

(٤)منطقة المقابر

قوات الجيش والشرطة تضرب كردونًا أمنيًا حول المنطقة بشكل منظم.

الأدخنة ما تزال تتصاعد بكثافة من باطن الأرض.

حجرة إبراهيم بمنطقة المقابر أصبحت خاوية على عروشها، لا يرى منها غير أحجار محترقة.

فرق البحث الجنائي لا تألو جهدًا في أعمال التنقيب والبحث وسط الرماد والتراب والأحجار المحترقة.

فتسلط الأضواء على حجرة إبراهيم المنكسة ومخزن الأسلحة المحترق وسور القرافة العتيق ومقابر الأموات الغارقة في الصمت. وقوات الأمن متشابكة الأيدي المحدقة بالمكان ومجموعة السيارات القريبة من المكان بأنواعها المتعددة.

فمنها من هي مكتوب عليها الشرطة العسكرية....

ومنها من هي مكتوب عليها البحث الجنائي...

ومنها من هي مكتوب عليها النيابة العامة....

ومنها من هي مكتوب عليها قطاع الأمن العام..

(٥)فيلا أبي هشيمة

أبو هشيمة فوق كرسي متحرك وسط حديقة فيلته يسيطر عليه شعور الخاسر في سباق، فيبدو عابس الوجه مهمومًا، منكس الرأس ذليلًا، مكتئبًا، والمكان من حوله خالٍ إلا من حارسين على البوابة الأمامية.

يتحرك بعجلات الكرسي فوق النجيل جهة اليمين وجهة اليسار كفأر في مصيدة متأففًا بكل غيظ قائلًا في سره بكل حسرة وندامة أبو هشيمة: "عملوني كبش فدا ولاد الكلب أف. آه"..

لكن قناصًا ماهرًا من فوق المقطم أراد أن يريحه من الدنيا فسدد إلى قلبه رصاصة صائبة أردته قتيلًا في الحال، فتنسال الدماء إلى الأرض الخضراء جارية.

(٦)منطقة المقابر

الأدخنة ما تزال تتصاعد من باطن الأرض بكثافة متزايدة كالحمم البركانية.. فرق البحث الجنائي ما تزال تنقب غير مبالية بالأدخنة، ولهيبها اللافح، وفجأة يقطع هذا الصمت القاتل نواح نائحة يترامى من بعيد كصوت بومة مطاردة.

أحد قادة الشرطة العسكرية يتحدث من تليفونه المحمول حال استعراضه للمكان من حوله بنظارة مكبرة فيتحدث في التليفون وقت استعراضه للمكان قائلًا:

القائد: بصوت منخفض: "زي ما كنا متوقعين يا أفندم بل أكتر مما كنا نتوقع، مجموعة مخازن الأسلحة والآثار متصلة بسرداب عميق بيمر من تحت المقابر".

(٧)فيلا أبي هشيمة

المسعفون يحملون جثة أبي هشيمة على نقالة ويدخلونها سيارة الإسعاف في وجود حشد هائل من قوات الأمن، ورجال النيابة، وعدد قليل من الصحفيين.

الأسدان في مدخل سلالم الفيلا يزأران بكل وحشية عند انطلاق سيارة الإسعاف بجثة صاحبهما حزنًا عليه.

(٨)ميدان التحرير

الميدان يبتلع الآلاف، فتتعانق الهتافات، وتتلاحم اللافتات المنددة بجرائم الإرهاب في ثورة حاشدة.

هتاف (١) : حط الشطة على الكمون... أبو هشيمة طلع مجنون

هتاف (٢) : يا عالم بص وشوف... الإرهاب بقا عالمكشوف.

هتاف (٣): داعش داعش يا جبان... يا عميل الأمريكان.

هتاف (٤): داعش داعش يا سفاح... هدفك خلاص ولى وراح.

تتعانق الهتافات وتختلط ببعضها كهتاف واحد وسط الزحام.

(٩)مطار القاهرة

مطار القاهرة في ازدحام شديد..

الناس بين الذاهب والآيب بحقائب سفرهم وقت الظهرية. والطائرات في المطار بين الواقفة والقالعة.

هناك صورة مكبرة [لإبراهيم] تعرض باستمرار في شاشات عرض كبيرة ومتعددة بكل جانب في المطار وزواياه، ومكتوب أسفلها في شريط ممتد يتصفحه الذاهب والآيب:

(أبو حمزة المهاجر زعيم تنظيم داعش في العراق والذي تم تعيينه خلفًا للإرهابي أبو مصعب الزرقاني بعد مقتله في عام ٢٠٠٦م).

****

الفصل الرابع عشر

(١)بئر العبد

الشمس تتوسط كبد السماء عندما أوشك المقرئ إنهاء قراءته المسموعة عبر ميكروفون قديم فوق سطح مسجد متواضع.

صوت ميكروفون المسجد:

﴿فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم، ومن يدع مع الله إلهًا آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه، إنه لا يفلح الكافرون، وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾

صدق الله العظيم... الفاااتحة.

فيعلق المذيع في الراديو المسموع صوته بوضوح من خلال ميكروفون المسجد:

صوت ميكروفون المسجد:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضآلين﴾.

وهكذا أخوة الإسلام والإيمان استمعنا بآذان مصغية وقلوب خاشعة إلى هذه التلاوة المباركة من آيات الذكر الحكيم من أواخر سورة (المؤمنون) تلاها علينا القارئ الشيخ (محمد التهامي) وذلك في مستهل نقلنا لشعائر صلاة الجمعة من مسجد الفتح برمسيس بمدينة القاهرة.

ويشرفنا بالحضور في جمعتنا هذه معالي وزير الأوقاف حيث يلقي علينا خطبة الجمعة بعنوان (محاربة الإرهاب واجب ديني وقومي) كما يحضر معنا معالي الوزير محافظ القاهرة، والأستاذ الدكتور وكيل الأزهر الشريف، ولفيف من كبار العلماء.. أخوة الإسلام والإيمان يقول الله عز وجل في كتابه العزيز:

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ صدق الله العظيم.

والآن نداء الحق فحسب التوقيت المحلي لمدينة القاهرة حان الآن موعد آذان الظهر، ويرفع الآذان فضيلة الشيخ عبد الجليل حسانين.

ينطلق صوت الآذان بالراديو من خلال ميكروفون المسجد.. صوت الآذان:

"الله اكبر الله أكبر....".

(٢)فيلا أبي هشيمة

رنا تحتضن أمها وتبكي على كتفها وهي تقول:

رنا: اغتالوا دادي يا ماما!!.. اغتالوه، دول مجرمين أوي يا ماما!! مجرمين، مجرمين، مجرمين، آه.

تربت الأم على ظهر ابنتها مواسية لها ومتباكية قائلة بصوت ضعيف باكٍ:

دولت: "قلبي عندك يا حبيبتي.. ماتعمليش في نفسك كده يا رنا، الله يرحمه، ويسامحه، ويصبرنا، ويهون علينا.. ياما حذرته من شغله مع الأمريكان".

تنهمر في البكاء غارقة في دموعها على كتف أمها كالطفل الرضيع تئن أنينًا، وتنتحب.

رنا: يا بابا يا حبيبي، ماكانش لازم أسيبك لوحدك أبدًا، ماكانش لازم نسيبه لوحده يا ماما، ماكانش لازم أبدًا.

الأسدان في مدخل سلالم الفيلا يزأران بكل وحشية مع بكاء الابنة كأنهما يبكيان.

(٣)بئر العبد

إرهابي بكاميرا في مواجهة البوابة الرئيسية لمسجد الروضة يستعرض بشيء من الدقة:

العشرات من المصلين حال دخولهم لساحة المسجد بكل سكينة ووقار.

خطيب المسجد حال كونه كشمعة تحترق؛ لتضئ للآخرين.

يقوم بدوره خير قيام فوق المنبر حيث يقول:

خطيب المسجد: وبعد هذا العرض يا أحباب الحبيب محمد – ﷺ - يتضح لنا جليًا بأن المسلم ليس إرهابيًا ولا سفاحًا وليس من صفات المسلم الاعتداء، أو سفك الدماء، وليس من صفاته أيضًا إثارة الفتنة وزعزعة أمن الوطن، إنما المسلم وكما قال عنه الرسول - ﷺ: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده).. فالمسلم متسامح بطبيعته، ودائمًا ما يقبل الآخر ويحب محاورته، فالمسلم الحق هو من يحب وطنه ويدعو إلى دينه بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجادل غيره بالتي هي أحسن.. هذه هي بعض صفات المسلم، أما الإرهابي فهو ليس بمسلم، أولئك قوم يتمسحون في الإسلام، والإسلام منهم براء..

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه، أو كما قال التائب من الذنب كمن لا ذنب له..

يجلس خطيب المسجد فوق المنبر جلسة الاستراحة التي بين الخطبتين، وجموع المصلين يرفعون أكفهم حال كونهم يتضرعون إلى الله وفي تلك الدقائق القليلة يدخل إلى ساحة المسجد شاب بكل سرعة وانطلاق؛ ليعدو فوق رقاب الناس عدوًا، كعدو فهد خائف فينـدس بين الجموع لا يعرفه منهم أحد - فهو غريب الشكل والمنظر- وبيده حقيبة سوداء كبيرة، وفي سرعة من أمره يضغط بأنامله على أزرة هذه الحقيبة فتنفجر فيه وفيمن حوله؛ لتتطاير الرقاب والأذرع والسيقان، وتشتعل النار في المسجد اشتعالًا وينفجر المكان انفجارًا، وعندما تدافع بعض الناجين من الناس هروبًا ناحية بوابة المسجد تدافعًا، وفرارًا من الموت، تفاجئوا بقناص على أعلى مستوى ينتظرهم في الشارع أمام البوابة يقوم باصطيادهم كالعصافير فتهوي جثثهم كالعصف في منظر يقتلع الأفئدة اقتلاعًا..

(٤)مكتب وزير الداخلية

الوزير يترأس اجتماعًا طارئًا ومهمًا بالوزارة بمقر مكتبه لكبار قيادات الأمن..

هـا هـو يـراقبهم بنظـرات جارحـة، ثاقبـة، وبكلمـات الحـزن والألـم يخـاطبهم مـن فـوق مكتبـه مـن خـلال مكـبر صـوت أمامـه عـلى سـطح المكتب قائلًا:

الـوزير: "بمزيـد مـن الأسى والحـزن تـنعي الـوزارة أبنـاء مصـر مـن ضـحايا حـادث الإرهـاب الغاشـم الـذي وقـع اليـوم الجمعـة أربعـة وعشـرين حـداشر ألفـين وسـبعتاشر بمسـجد الروضـة ببـئر العبـد بشـمال سـيناء، وتـدين الـوزارة بكافـة أجهزتهـا وقطاعاتهـا الحـادث الإرهـابي، وتؤكـد أن الإرهـاب الجبـان لـن يسـتطيع النيـل مـن اسـتقرار الـوطن وقـوة وصـلابة ووحـدة نسـيجه الـوطني، فلـن يستطيع النيل ولن يستطيع أبدًا".

ينتفض واقفًا من جلوسه وهو يقول بحسرة وألم:

الـوزير: "أدعـوا حضـراتكم للوقـوف دقيقـة حـداد عـلى أرواح الأبريـاء من ضحايا هذا الحادث الغاشم الذي حدث اليوم"..

عشرات اللواءات والعمداء يقفون في صمت بلا حراك.

(٥)بئر العبد

قـوات مـن الجـيش والشـرطة تضـرب كردونًـا أمنيًـا محكمًـا ومنظمًـا حـول المسـجد، وسـيارات الـدفاع المـدني تسـيطر بشـكل كبـير عـلى الحرائـق بمكـان الحـادث، فهـم يعملـون كشـعلة نشـاط في صـمت وحـزن لا فـرق فـيهم بـين الـرئيس، والمـرؤوس، فـالجميع يعمـل معًـا بـروح الفريـق الواحـد، وسـيارات الإسـعاف تتسـابق في

نقل جثث الموتى وأشلاء الضحايا، فهم يعملون أيضًا كشعلة نشاط في صمت وحزن، ولا فرق فيهم بين الرئيس والمرؤوس فالجميع يعمل معا بروح الفريق الواحد، رجال الصحافة والإعلام منتشرون في المكان كانتشار النمل حول قطعة من الحلوى باختلاف قنواتهم الإعلامية والإخبارية فإن أحدهم ممثل إحدى القنوات الإخبارية العربية متحدثًا مع السيد المحافظ قائلًا:

الإعلامي: سيادة المحافظ تقول إيه لأهالي الشهداء والضحايا اللي راحوا نتيجة هذا الحادث الخسيس؟ أتفضل يا أفندم..

المحافظ: الضحايا دول مش أولادكم انتوا وبس، دول أولاد مصر.. ومصر لا يمكن تنسى أولادها.

(٦)ميدان التحرير

فتيل الثورة يزداد اشتعالًا في الميدان اعتراضًا على ما حدث بمسجد الروضة ببئر العبد فإلى جانب اللافتات المرفوعة بأيدي الثوار الداعية في مجملها إلى نبذ العنف والتطرف وإلى جانب الشعارات الصارخة بها الأفواه ومن أمثلتها:

شعار (١): يا حكومة إلحقينا.. الإرهاب بيحصد فينا..

شعار (٢): يا إرهابي يا عميل... يا عدو المصريين..

شعار(٣) : يا إرهابي بص وشوف.. شعب مصر على الصفوف..

شعار(٤) : قوم يا مصري كفاية نوم.. خد بتاري ووفي الدين..

شعار (٥) : هنا مقص وهنا مقص.. هنا جثث بتترص..

تتحد الأصوات وتختلط

تتداخل الأجساد مع بعضها كالجسد الواحد يشد بعضه بعضًا.

(٧)فيلا أبي هشيمة

دولت في قمة غضبها كالشمعة تحترق من شدة لهيبها حال تطلعها إلى صورة أبي هشيمة على الجدار بحجرة نومها وها هي تطيل النظر إلى صورة زوجها تكاد أن تحرقه من شرار عينيها المنبعث كأشعة الليزر قائلة له في سرها حال شرودها وتوهانها بكل غيظ:

دولت: بقا بعد العمر دا كله وبعد كل اللي عملته معاك أكتشف إنك متجوز عليا وكاتبلها أكتر من نص ثروتك؟! بقى تتجوز عليا أنا يا خاين، يا ندل، يا عميل الأمريكان، صحيح اللي يخون بلده من السهل عليه يخون مراته، ومن السهل عليه يعض الإيد اللي اتمدت له، ومن السهل عليه إنه يساوي بين الرؤوس ويخلي رأس الخدام برأس سيده، وصحيح اتقي شر من أحسنت إليه، آه..

تنفجر في البكاء والصراخ في حالة من الهستيريا الشديدة قاذفة صورة أبي هشيمة المعلقة على الجدار بتمثال نحاسي كان موضوعًا على منضدة صغيرة أسفل الصورة؛ لتتهشم عن آخرها..

تأتي رنا من الداخل مندفعة إليها بقميص نوم؛ لتحيطها بذراعيها قائلة في حيرة وخوف:

رنا: مالك يا ماما؟ فيه إيه؟

(٨)مطار القاهرة

المطار خالٍ تمامًا إلا من رجال الأمن، فقوات الأمن الخاصة منتشرة انتشارًا محكمًا بشكل مرعب داخل ساحات المطار. وفجأة تهبط طائرة ركاب أمريكية، هي وحدها القاطعة لهذا السكون القاتل دون غيرها، فالطائرات كلها في جراجها متوقفة، والحركة ساكنة وها هي الطائرة تتوقف بكل هدوء؛ لتحدق بها فرقة كاملة من القوات الخاصة كخلية نحل حول زهرة عباد الشمس، لحظات قلائل وينفتح باب الطائرة، فيهبط إبراهيم منها مكبلًا بالحديد من يديه في صحبة رجال المخابرات العامة المصريين الذين يضربه أحدهم براحة يده على قفاه بكل قوة قائلًا له بغيظ:

أحد ضباط المخابرات: دوختنا عليك يا أبو حمزة، راحت بسببك أرواح كثير..

فيقتحمه بنظرات حارقة مكشرًا له عن أنيابه كالأسد.

إبراهيم: يا، آه!!

لكن الرجال من حوله يزجونه زجًا، زجًا، هابطين به سلالم الطائرة فلم يستطع مقاومتهم حال كونه مكبلًا بالحديد من يديه خلف ظهره فيتحمل ضرباتهم أثناء هبوطهم به سلالم الطائرة والغيظ يقتله، وبركان بداخله كاد أن ينفجر. وما إن لامست قدماه أرض المطار والرعشة تتملكه امتلاكًا ويسيطر على مسامعه (صوت لندا) يرن بين أذنيه كالصدى ويردد نفسه بنفسه:

صوت لندا:

"صدقني إبراهيم، مش لازم تخاف احنا وراك، أمريكا كلهم وراك، أنت مهم كتير كتير عندنا، احنا مش بنضحي بيك إبراهيم، أنت راجل بتاع احنا، صدقني دي مجرد صفقة إبراهيم، نسلمك احنا مخابرات مصرية، يسلمونا هما ثمانية مجرمين ليبيين فجروا سفارات أمريكية في بلاد كثيرة، بوليس مصر قبض عليهم على حدود فلسطين، وهمه في سجون مصرية، أمريكان تسلمك مخابرات مصرية، مخابرات مصرية تسلمنا إرهابيين ليبيين بيخططوا لضرب ولايات أمريكية، وأنت مش لازم تخاف إبراهيم مفيش واحد دليل يثبت إنك (أبو حمزة المهاجر) عشان

كـــده اطمـــئن إبـــراهيم قضـــيتك خســـرانة والـــبراءة مضـــمونة واحنـــا وراك، أمريكان كلهم وراك صدقني".

فلـــم يفـــق مـــن توهانـــه إلا والرجـــال مـــن حولـــه يحملونـــه بـــين أيـــديهم داخـــل إحـــدى ســـياراتهم المصـــفحة؛ لتنطلـــق بـــه انطـــلاق الصـــاروخ وخلفهـــا ســـيارتان تتبعانهـــا، لكـــن هنـــاك بعـــض كلمـــات تـــرن بين أذنيه ساعة انطلاق سيارة المخابرات به.

صـــوت لنـــدا: "أنـــت مـــش لازم تخـــاف إبـــراهيم، مفـــيش واحـــد دليـــل يثبـــت إنـــك (أبـــو حمـــزة المهـــاجر) عشـــان كـــده إطمـــئن إبـــراهيم، قضـــيتك خســـرانة والـــبراءة، مضـــمونة واحنـــا وراك، أمريكـــان كلهـــم وراك، أمريكان كلهم وراك صدقني".

بينمـــا الطـــائرة الأمريكيـــة يصـــعد ســـلمها ثمانيـــة مـــن الرجـــال واحـــدا تلـــو الآخـــر مكبـــل يديـــه إلى ظهـــره بسلاســـل حديديـــة و في صـــحبة كـــل واحـــد مـــنهم أربعـــة رجـــال أشـــداء مـــن المخـــابرات الأمريكيـــة يســـوقون المجـــرم ويصـــعدون بـــه ســـلم الطـــائرة ضـــرباً بالســـياط ثـــم يلتزمونـــه داخل الطائرة في انتظار آخرين يصعدون الطائرة بآخر، وهكذا

لحظـــات وتقتلـــع الطـــائرة المحملـــة بالإرهـــابيين ؛ لتعلـــو، ثـــم تعلو، حتى تغيب في الأفق.

(٩)ميدان التحرير

ثـــورة الشـــعب عـــلى الإرهـــاب تتـــأجج نارهـــا لحظـــة بعـــد أخـــرى ، فيضـــيق الميـــدان بمـــن فيـــه بمـــرور الوقـــت وقـــد أصـــبح الجميـــع جســـداً

واحداً وصوتاً واحداً يهتف بأعلى قوة ثائراً، ثائراً من خلال مكبرات صوت متعددة ، والمظهر الذي يفرض نفسه فرضا في هذا التجمع الضخم أن المصريين أصبحوا لحمة واحدة فلا فرق بين مسلم ومسيحي ولا غني وفقير، فالكل يدٌ واحدةٌ مع الوطن في شدته ويتضح ذلك جليا من خلال الآتي :

أزهريا فوق أعناق الرجال ماسكا بيد قسيساً فوق أعناق الرجال أيضا ويهتفان معاً نداءاً واحداً ويردد خلفهما الآلاف من الثائرين

الهتاف الواحد :

ياللى رايح قول للجاي ... المصريين مالهمشي زي

*****

الفصل الخامس عشر

(١)فيلا أبي هشيمة

دولت وابنتها رنا يودعان الفيلا بدموعهما وخفقان قلبيهما ونظرات عيونهما النادمة الطائفة بالمكان كأنها تراه لأول مرة ، فالمكان من حولهما خالياً تماماً إلا من رجال الشرطة والنيابة العامة دون غيرهم ، يتقدم إليهما أحد ألوية الشرطة في صحبة ثلاثة من رجال النيابة قائلاً لهما بنوع من الهدوء التام

لواء شرطة :

لو سمحتوا كفاية كده سيبوا الناس تشوف شغلها حضراتكم عارفين أن سيادة النائب العام أمر بالتحفظ على جميع ممتلكات ومصانع وشركات أبو هشيمة وتجميد جميع أرصدته بالبنوك المصرية وا حنا جايين نشوف شغلنا وكل دي إجراءات مؤقتة لحين البت في القضايا.

تنحني رنا ممسكة بحقيبة سفرها قائلة

رنا :

ياللا يا ماما معاد الطيارة قرب

ثم ناظرة إلى اللواء قائلة له

رنا: سيادة النائب العام صرحلنا بالسفر، وسيادته عارف إقامتنا في أمريكا وأي اتصال حانيجي بسرعة .

(٢)ميدان التحرير

استعراض كامل للميدان من أعلى ، فيبدو وكأنه شجرة زيتون متشابكة الأغصان متداخلة الأوراق متزاحمة ، والخلائق من الناس ما تزال متلاحمة الحناجر، والأصوات ما تزال مرتفعة إلى عنان السماء ، والأصوات متداخلة ومتشابكة والهتافات ما تزال حامية الوطيس ومنها :

هتا ف (١) : داعش داعش يا جبان ... يا عدو بني الإنسان.

هتاف (٢) : يا إرهابي يا عميل . .. يا عدو المصريين .

هتا ف (٣) : ياللى رايح قول للجاي ... المصريين مالهمشي زي

هتا ف (٤) : يا أمريكا مالك بينا ... ده احنا إللى فينا مكفينا.

(٣)أمام سرايا نيابة أمن الدولة العليا

صوت يسمع من الداخل ولا يرى مصدره

الصوت : قدا مي ليك حزمة من التهم محتار أبدأ بأي واحدة فيهم ، زعيم أكبر تنظيم إرهابي في العالم ، زعيم أكبر مافيا

لتجارة السلاح وتهريبه ، أكبر تاجر مواد مخدرة في الشرق الأوسط ، رئيس أكبر شبكة دولية لتجارة الأعضاء البشرية ، تمتلك أكبر من ثلاثين مكتب منتشرين في جميع أنحاء العالم ، شكلها العام مكاتب محاماة ونشاطها السري هو الجاسوسية ، ومتورط بشكل كبير في خمسين جريمة اغتيال لشخصيات عامة وقادة دول وزعماء معارضة، قمت بتفجير عدة أكمنة شرطية داخل مصر وثلاث كنائس ومسجد ، وما خفي كان أعظم .

لكن صوتاً يندفع كاندفاع البارود محتجا قائلا

صوت (٢):

أعترض على توجيه مثل هذه التهم الشنيعة لموكلى ، وأطعن في إجراءات القبض عليه فموكلى ليس هو من تبحثون عنه .. ويحمل الجنسية الأمريكية

(٤)فيلا أبي هشيمة

رجال النيابة العامة ينتهون من أعمالهم المكلفين بها داخل الفيلا حال التفات أحدهم إلى لواء الشرطة المصاحب لهم قائلا له وهو منشغل بتشميع الباب الحديدي الذي وضع خصيصاً على سلالم الفيلا المؤدية إلى طوابقها العليا .

وكيل النيابة :

" سيادة اللواء الحراسة تكون أربعة وعشرين ساعة مش عاوز حد يهوب ناحية الفيلا أو حتى يلمس السور بتاعها من بره حانبعتلك تعزيز من قوات الجيش حا يقيموا معاكم هنا في مدخل الفيلا وفيه كمان عشرين مدرعة حايحاوطوا الفيلا من الخارج وفيه كمان لجنة حاتجيلك من وزارة الزراعة تابعة لحدائق الحيوان حيكون معاهم تصريح مني شخصيا حا يستلموا جميع حيوانات الفيلا وحايتحفظوا عليها بحدائق الحيوان لحين صدور تعليمات جديدة ، عاوز اجراءاتكم تكون سليمة معاهم .

فيرد عليه لواء الشرطة في أدب جم :

لواء الشرطة:

تعليمات سيادتكم أوامر يا أفندم، كلنا فداء الواجب

الأسدان في قفصيهما يعلنان عن غضبهما فيزأران زئيراً متقطعاً كأنهما يبكيان بحسرة .

(٥) نيابة أمن الدولة العليا

إبراهيم في مواجهة رئيس النيابة وبجواره أربعة من كبار المحامين الذي يحتج ممثلهم واقفاً قائلاً باندفاع وتعصب .

المحامي :

مازلت معترضاً على توجيه مثل هذه التهم لموكلى خاصة بعد اطلاعكم على جميع المستندات التي تثبت براءة موكلى، وأنا بصفتي محام المتهم والمنتدب إليه من السفارة الأمريكية بالقاهرة والمتحدث باسم زملائي المحامين الحاضرين معي مازلت مصراً على طلبي وهو الإفراج عن موكلى بدون أية ضمانات والعمل على تعويضه التعويض اللازم والمستحق .

يعتدل رئيس النيابة في مجلسه على كرسي مكتبه المتحرك ماسكاً برابطة عنقه الداكنة اللون البني ويقول بكل التزام

رئيس النيابة : " يا دكتور ريمون سيادتك عارف ملابثات مثل هذه القضايا إلى من النوع ده ، دي قضايا تخص أمن الدولة ولازم التحقيق فيها يشمل كل الجزئيات ."

يحتج المحامي بكل شدة منتفخة عينيه ، محمر وجهه قائلاً كالفارض لرأيه

دكتور ريمون: يا سيادة المستشار مفيش قضايا من أصله موكلى متهم فيها والحكاية كلها هي مجرد وجود شبه بين موكلى وبين الإرهاربي الخطير أمير جماعة داعش الإرهابية [أبو حمزة المهاجر] ، القضية كلها في مجرد الشبه القوي إلى بين موكلى وبين الإرهاربي الخطير وسيادتك اطلعت في الملف إلى قدام حضرتك على عدة تقارير لمجموعة خبراء بصمات عالميين

أثبتوا فيها الاختلاف الكلى بين بصمات موكلى إبراهيم أبو الرجال وبصمات الإرهاربي أبو حمزة المهاجر إلى قدروا يحصلوا عليها من الإنتربول وجميع هذه التقارير موثقة ورسمية فبمجرد وجود مثل هذه التقارير بين أيديكم يعني انتفاء جميع التهم عن موكلى ، لذلك أطالبكم بالإفراج عن موكلى بدون أية ضمانات والعمل على تعويضه التعويض اللازم .

(٦)ميدان التحرير

هناك حركات كر، وفر، في صفوف الثوار، وسيارات الإسعاف تحمل جثث الموتى والمغشي عليهم وسط الزحام ، رفعت اللافتات وتزاحمت الأيادي الحاملة لها....

فمنها ..... لافتة أولى :

(تم القبض على الإرهاربي مفجر الكمين وهو الآن بين يدي القضاء العادل .. تحيا مصر...)

ومنها .....لافتة ثانية :

الشعب يريد محاكمة عاجلة

ومنها .....لافتة ثالثة :

(الإعدام في ميدان عام لقاتل الأبرياء)

ومنها.....لافتة رابعة :

(ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون)

وما تزال الأصوات تعلو، وتعلو ، من خلال مكبرات الصوت قائلة في نبرة واحدة متواصلة :

داعش داعش يا جبان ... يا عدو بني الإنسان

(٧)أمام سرايا نيابة أمن الدولة العليا

ويُسمع صوت رئيس النيابة وهو يقول من خلال نافذة مكتبه المفتوحة بصوت قوي نافذ :

رئيس النيابة : أمرنا نحن رفعت أبو اليسر- رئيس نيابة أمن الدولة العليا بما هو آت :

أولا : اخلاء سبيل السيد إبراهيم حسانين أبو الرجال من سرايا النيابة بدون أي ضمان ؛ لقوة أدلة الدفاع ، ولعدم كفاية أدلة الإدانة فيما نسب إليه .

ثانيا : تحفظ ملفات القضايا المفتوحة موضوع البحث ، وتقيد ضد مجهول ، وذلك لحين ظهور الجناة أو أي أحد منهم .

ينطلق صوت إبراهيم بهتاف حاد معبراًعن فرحته

إبراهيم : الله . !! يحيا العدل ، يحيا العدل، يحيا القضاء المصري. الله !!.

ويعلق المحام قائلاً بلهجة المنتصر

دكتـــور ريمـــون : مـــش قلنالـــك إطمـــئن الأمريكـــان كلهـــم وراك ألـــف مبروك يا أبو الرجال .

(٨)ميدان التحرير

النـــاس في الميـــدان ينزحـــون منـــه منتشـــرين في الشـــوارع مـــن حولـــه كانتشـــار الحجـــيج عـــلى عرفـــات ، نكســـت اللافتـــات ، هنـــاك أعـــلام أمريكيـــة وإسرائيليـــة تحـــترق وســـط الميـــدان ، واكتســـت وجـــوه الســـواد الأعظـــم بـــالحزن والغضـــب ، هنـــاك أصـــوات يـــتردد صـــداها عـــبر مكـــبرات الصـــوت في جنبـــات الميـــدان والمنطقـــة مـــن حولـــه يـــدوي كـــدوي النحـــل تشـــجيعاً عـــلى تـــرك الميـــدان والـــنزوح إلى مكـــان آخر .

صـــدى الأصـــوات : أتركـــوا الميـــدان واذهبـــوا إلى مبـــنى النيابـــة ســـترون رأى العين قاتل أبنائكم .... سيخرج بين أيديك ضاحكاً .

أمريكـــا أنقـــذت عميلهـــا وإلـــى ليـــه ضـــهر مـــا ينضـــربش عـــلى بطنـــه ، وعجبي . .

أبـــو حمـــزة المهـــاجر قاتـــل الأبريـــاء ، زعـــيم عصـــابة داعـــش الإرهابيـــة الـــذى قـــام بـــذبح أبنائنـــا المســـيحيين في ليبيـــا هـــو نفســـه مفجر كمين المعادي .

(٩)أمام سرايا نيابة أمن الدولة العليا

يخرج إبراهيم من سراي النيابة متأبطا ذراع الدكتور ريمون وخلفه [ثلاثة وجهاء] من محامين السفارة ، وما إن وطأت أقدامهم رصيف الشارع أمام النيابة، وعندما أرادوا التوجه إلى سياراتهم المنتظرة هناك أمام المبنى ، وضحكاتهم تعلو إلى الآفاق ، إذا بالمكان يمتلأ بالثوار النازحين وكأن الأرض انشقت ولفظتهم ذرافات ، ذرافات ، ذرافات .

يرشقون إبراهيم ومن معه رشقا بزجاجات المولوتوف المشتعلة وكأن السماء أمطرت هذه الزجاجات عن طيب خاطر منها .

تعاون الثوار تعاوناً لا مثيل له في إلقاء الزجاجات المشتعلة بكل غضب على إبراهيم ومن معه وهم يهتفون هتافاً واحداً

<u>الثوار :</u>

يا أبو حمزة يا جبان ... يا عميل الأمريكان

فيشتعل إبراهيم ومن معه اشتعالا كالشعل المحترقة يتساقط أجزاؤها على الأرض رمادا أسودا وسط لعنات الثوار، وسخطهم ، وما يزال الثوار يرشقونهم بالزجاجات المشتعلة ويتسابقون في ذلك ويتنافسون مسرورين وهم يهتفون

الثوا ر:

يا أبو حمزة يا جبان ... يا عميل الأمريكان

والثـوار مـا تـزال تـنزح إلى المكـان نزوحـاً حـتى كـاد المكـان يضـيق بمن فيه .

تتسـاقط جثـث المحـامين الأربعـة كـأوراق الشـجر متفحمـة. أمـا إبـراهيم فمـا يـزال واقفـاً والنـيران تأكلـه أكـلا كالهشـيم ، وتطـوف بمخيلتـه وهـو يحـترق صـورة تفجـير كمـين المعـادي ، ويسـتعرض في شـريط ذكرياتـه سـاعة اغتصـابه لعدليـة فتـاة الصـحراء قبيـل الفجـر بـين الأغنـام ويـدوي بـين أذنيـه صـوت اسـتغاثتها كطنـين النحـل ثـم يتهـاوى إلى الأرض كفـرع شـجرة يحـترق ومـا تـزال زجاجـات المولوتـوف تتسـاقط عليـه كقطـع مـن الجحـيم وسـط لعنات الثوا ر، وغضبهم .

الثوار:

يا إبليس يا رجيم ... يا عدو البني آدمين .

ينفجر كالقنبلة وتتناثر أشلاءه .

سـيارات الإسـعاف تمـلأ المكـان ورجـال الجـيش والشـرطة يحـدقون بـالثوار، حـافين بهـم مـن حـولهم ، السـيارات الفارهـة الواقفـة بـالقرب مـن الجثـث تنفجـر انفجـارا مـن شـدة اللهـب بينمـا بـدأ الثـوار يتقهقـرون للـوراء فيقـع بعضـهم عـلى الآخـر أكوامـاً

من البشر كالتلال ويتصارخون ، يتشبث كل منهم بالآخر، فيلتحمون بعضهم ببعض كلبنات الجدار الواحد ، هاتفين بحناجر من نار [نموت جميعا ويحيا الوطن]

لكن صوتا قويا قاطعا كالسيف يشق هذا الصراخ وتلك الانفجارات يأتي عبر مكبرات الصوت المنتشرة في كل مكان ؛ ليتلو القرآن وسط الزحام فيسكن له كل شيء وتنصت له الآذان :

الصوت :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (١٧)

صدق الله العظيم

تمت [بحمد الله تعالى]

الفهرس

الفصل الأول ٦
الفصل الثاني ١٦
االفصل الثالث..... ٢٤
الفصل الرابع ٣٣
الفصل الخامس..... ٥١
الفصل السادس..... ٧٣
الفصل السابع..... ٩١
االفصل الثامن ١٠٤
الفصل التاسع..... ١١٩
الفصل العاشر ١٣٢
الفصل الحادي عشر ١٤٨
الفصل الثاني عشر..... ١٦٠
الفصل الثالث عشر..... ١٧٤
الفصل الرابع عشر..... ١٨٢
الفصل الخامس عشر. ١٩٤